المدخل إلى
التفسير الموضوعيّ
دروس منهجيّة

د. هاشم ابو خمسين

نشر مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية

المدخل إلى التفسير الموضوعيّ

دروس منهجيّة

المدخل إلى التفسير الموضوعيّ

دروس منهجيّة

إعداد

الدكتور هاشم أبو خمسين

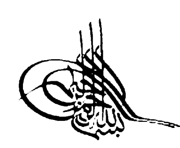
نشر

مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية



المدخل إلى التفسير الموضوعيّ

دروس منهجيّة



جميع الحقوق
محفوظة ومسجلة
لمؤسسة العرفان
للثقافة الإسلامية

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م

إعداد: الدكتور هاشم أبو خمسين

نشر: مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية
توزيع: مؤسسة المصباح الثقافية
عدد النسخ المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

الاشراف العام: الشيخ طالب الساعدي.

الاشراف العلمي: الشيخ مهدي البغدادي المراجعة اللغوية: د. قحطان الاسدي، عمار الحمد، مراجعة النص: أحمد حسين، تصميم الغلاف: مرتضى نعمة، الإخراج الفني: جاسم جبار

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد : ٣٥٠٠ لسنة ٢٠١٧



﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

القيامة: ١٨ - ١٩

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعدُ:

مازال القرآن الكريم وحفظه وتفسيره محطّ اهتمام المسلمين؛ فالعمل القرآنيّ إضافة إلى أجره الأخرويّ هو سلاح المؤمن لمواجهة مشكلات الحياة، كما أنّه كنوز من نور، وهدى إلهيّ يتوافر للباحث باستنطاق القرآن الكريم، ومعرفة رؤيته في الموضوعات المختلفة.

ومن هنا تنبُع أهمّيّة التفسير الموضوعيّ؛ لأنّه علم معرفة الرؤية الإلهيّة في هذه الموضوعات، يسير كتفاً إلى كتف مع التفسير التجزيئيّ، فهو قسيم له في محاولة الإنسان الحصول على موقف السماء تُجاه الكون والحياة.

وهو وإن كان قد تأخّر زماناً ليتبلور بصورة علم تفسيريّ ناضج كما عليه الحال الآن، إلّا أنّنا نجد بذوره في محاورات النبيّ والأئمّة ﷺ وتعاليمهم.

ونحن في مؤسّسة العرفان للثقافة الإسلاميّة لمّا وقفنا على عظيم فائدة طرح التفسير الموضوعيّ بأسلوب ممنهج سلس، يعتمد المرحليّة والتمهيد درساً بعد درس؛ ليقدّم للطالب رؤية عن نشأته، وأقسامه، وأصوله، وقواعده، ونماذج عن تطبيقاته؛ عدا بنا الحال لنقدّمه (في كتابنا هذا) خدمة لطلبتنا الأعزّة من روّاد الحوزة العلميّة الشريفة.

وآخر نوافل القول: سؤاله تعالى التوفيق الدائم لخدمة القرآن، وأهله، ولا ننسى توجيه

الدعوة الصادقة لأساتذتنا الأعزّة من ذوي التخصّص العالي في المجالات المعرفيّة الإسلاميّة عموماً، وفي مجال القرآن وعلومه، لأنْ نمتح من غمْر نتاجاتهم القيّمة؛ فيكون وُكْدُنا طباعتها، وتنقيحها، ونشرها؛ خدمةً لديننا العزيز؛ ومن الله تعالى نستمدّ العون والتوفيق.

مؤسّسة العرفان للثقافة الإسلاميّة

المقدّمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اَلْحَمدُ للهَّ الْمُتَوَحِّدِ بِالْكِبْرِياءِ، الْمُتَفَرِّد بالآلاءِ، أحمده حمداً أستزيده في نعمته، وأستجير به من نقمته، (وَأَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، خَضَعَتِ الْخَلائِقُ لِرُبوُبِيَّتِهِ، وَدانوُا لِدَوامِ أبَدِيَّتِهِ).

وأصلّي وأسلّم على مَن صلّى الله عليه بنفسه وملائكته وأمرَ المؤمنين، إذ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

لقد اهتمّ المفسّرون وعلماء الإسلام كثيراً بالتفسير الترتيبيّ، أو ما يسمّى بالتفسير التجزيئيّ، وكُتبت فيه ألوف التفاسير من عصر النبوّة إلى يومنا هذا، وبين طيّات تلك الأيام كانت بذور أسلوب التفسير الموضوعيّ تنشأ وتترعرع في المجالات العلمية والمعارف القرآنيّة، إلى أن دخل القرن العشرين الذي استقام فيه التفسير الموضوعيّ على ساقه وأينعت بعض ثماره وتبلورت أفكاره، وكُتبت فيه الكتب وتنافس فيه المنظّرون والدارسون.

فالتفسير الموضوعيّ هو أسلوب تفسيريّ يستحقّ الاهتمام، ولكنّ المفسّرين اعتادوا الترتيبيّ لدواعٍ مختلفة، وقد يرغب بعض المفسّرين في اختيار أسلوب خاص في كتابة تفسيره فتتعدّد التفاسير تبعاً لذلك، فهناك التفسير الترتيبيّ، و الموضوعيّ، والمزجيّ، والمختصر، والمفصّل، فجميع هذه الطرق تتعلّق بأسلوب الكتابة للتفسير.

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

وقد تمّ إعداد المفردات الدراسيّة المطروحة في هذا الكتاب نظراً إلى الحاجة الماسّة إليها، ولخلوّ المكتبة - بحسَب علم الباحث - من منهج كهذا، ولكي يُعرّف الدارس بالتفسير الموضوعيّ من قريب، فليس التفسير الموضوعيّ هو جمع الآيات ذات اللفظ الواحد فقط، وليس التفسير الموضوعيّ هو جمع الآيات ذات الهدف الواحد فقط، ثمّ تحليلها، وترتيبها فقط، وليس هو الحديث عن موضوع معيّن ثمّ الاستدلال عليه بالآيات فقط، وإنّما هو محاولة الوصول إلى موقف قرآنيّ أو رؤية قرآنيّة شاملة ومتكاملة في مجالٍ ما، كما أنّ التفسير التحليليّ مقوّم أساسيّ في التفسير الموضوعيّ لكنّه ليس هو.

والتفسير الموضوعيّ يقابل التفسير الموضعيّ؛ فهو لا يبقى في مكان واحد من القرآن؛ بل يربط بين آياته من جهة ويربط بين القرآن والواقع من جهة أخرى؛ وبالتفسير الموضوعيّ يمكننا معرفة الرؤى القرآنيّة تجاه قضية معيّنة، وفيه نستطيع مواكبة الحياة وعلاج مشاكلها الجديدة.

إنّ هذا الكتاب هو محاولة لاكتشاف الملامح العامّة لعناصر النظام في علم التفسير الموضوعيّ وتوضيحها، أي إنّه محاولة لمعرفة مكوّنات نظام التفسير الموضوعيّ وتحليله من حيث التعريف والموضوع والفوائد ومشروعيّته، والفوارق بينه وبين التفسير الترتيبيّ، ويسلّط الضوء على المحطّات الرئيسة التي تمرّ بها عملية التفسير الموضوعيّ، من أصول التفسير الموضوعيّ، وقواعده، وأقسامه، وأشكاله، وأساليبه، والعيوب التي تهدّده.

إنّ أساس فكرة هذا الكتاب هي أن يقدّم هذا المشروع للطالب دروساً متسلسلة مختصرة تناسب طلّاب الدراسات العليا في الجامعات والمعاهد الإسلامية، يتمّ بها تعريف الطالب بمحتويات منظومة التفسير الموضوعيّ؛ سواء من التعريف والفائدة والحاجة والأساليب التفسيرية، ومصادر التفسير، أم العيوب التي يصاب بها التفسير غير الصحيح، فضلاً عن استعراض تاريخ التفسير الموضوعيّ والتعريف بأهمّ التفاسير، كلّ ذلك وغيره؛ ليعطي هذا الكتاب صورةً حقيقية مجملة عن علم التفسير الموضوعيّ لدى الطالبين، مع بيان صورة عامّة

يصحّ أن يُطلق عليها تمهيداً ومدخلاً يتدرّج الطالب بوساطته إلى دروس التفسير وعلومه التخصّصية.

إنّ هذا الكتاب أعدّ بتجميع النصوص من الكتب التخصّصية في علم التفسير؛ لذا لابدّ أن نذكر الأساتذة الكبار الذين قدّموا للقرآن كثيراً من وقتهم ومن عمرهم بالشكر والامتنان؛ ومن أهمّ المصادر التي رجع إليها هذا المدخل:

١- كتاب (أصول وقواعد التفسير) للدكتور محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ.

٢- كتاب (دروس في المناهج والاتجاهات) للدكتور محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ.

٣- (أصول وقواعد التفسير) للشيخ مازن التميميّ.

٤- كما اعتمد الكتاب على برنامج جامع التفاسير وبرنامج مشكاة الأنوار.

٥- واقتبس من مجموعة من الكتب والمقالات لكثيرٍ من العلماء وللمؤلّف.

ولا أنسى أن أتقدّم بالشكر إلى جميع الأخوة الأعزّاء وأخص بالذكر الأخ الشيخ الأستاذ حازم البصريّ، والأستاذ المساعد الدكتور هاني الشاوي، والأخوة الذين ساهموا في رفد الكتاب ونقده وتصحيحه.

كما أتقدم بوافر الامتنان والشكر لمؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، على جهدهم الذي بذلوه تصحيحاً، وتنقيحاً، وإخراجاً، وطباعةً، ليكون الكتاب بالحلة التي بين يديك.

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الحبيب محمّد وآله الطاهرين.

د. هاشم أبو خمسين

آخر محرّم الحرام ١٤٣٨هـ

تشرين الأوّل ٢٠١٦م

الدرس الأوّل: نظام علم التفسير

أهداف الدرس:

الهدف الرئيس: معرفة نظام التفسير.

أهداف ثانوية:

١- بيان عناصر النظام العام للتفسير.

٢- معرفة نظام التفسير الترتيبيّ.

٣- معرفة نظام التفسير الموضوعي

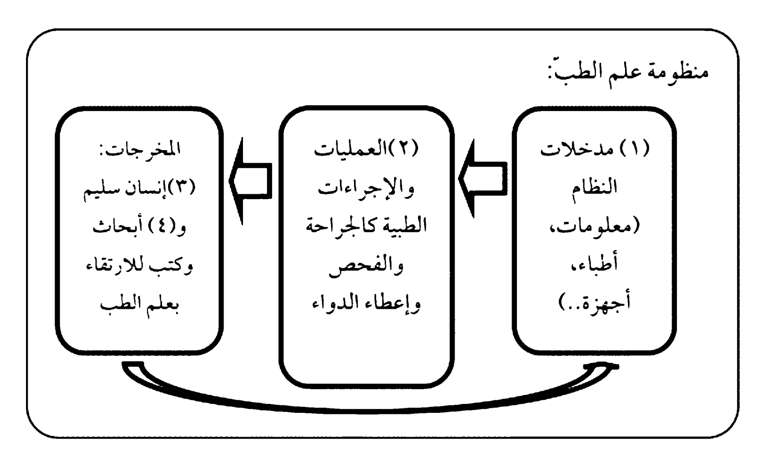
المحتوى العلمي: معنى النظام

النظام لغةً: النظم: التأليف، نظمه ينظمه نظماً ونظاماً ونظّمه فانتظم وتنظّم. ونظمت اللؤلوء؛ أي: جمعته في السلك والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظّمته. ونظم الأمر على المثل. وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته. والنظام: ما نظمت في الشيء من خيط وغيره، ونظام كل أمر ملاكه[1]. ومنه نخلص إلى أن النظام هو الجامع والمؤلف لكل أمر بترتيب وتنسيق.

وقد مرّ علينا كثيراً أنّ موضوع علم النحو هو الكلمة، وعندما نُسأل عن هدفه نقول: إنّه صيانة اللسان من اللحن، وخفي علينا أنّ هذين الأمرين إنّما هما من أركان نظامٍ متكامل يمثّل علم النحو؛ وهكذا بالنسبة إلى علم الطب، فنحن سمعنا كثيراً بهذا الاصطلاح، ولكن لم نتعرّف على منظومته، ونعرف أنّ موضوعه بدن الإنسان، وأنّ هدفه سلامته من الأمراض

(١) لسان العرب مادة (ن، ظ، م).

البدنيّة، إلّا أنّه غابتْ عنّا بقية عناصر النظام الطبّي ومكوّناته، والتي منها تعريفه أو أصوله أو غيرها؛ فإنّ التغذية، والرعاية الصحّية، والوقاية، وتشخيص الأمراض، والجراحة، والعلاج هي من عناصر النظام الطبّي كذلك؛ علماً أن كل الدراسات تشير إلى أن أي نظام في الكون يتألّف من أربع عناصر هي (مدخلات، إجراءات، مخرجات، معلومات مرتدّة من المخرجات إلى المدخلات) وكلّها محاطة بالظروف البيئية والرسم أدناه يوضح ذلك:



شكل (١): يفسر مكونات أو عناصر منظومة علم الطب

وفي الحقيقة لابدّ أن نعلم أنّ لكلّ علم عناصرَ تكوّنه هي أهمّ مسائله التي يرتكز عليها ويبحثها من أجل الوصول إلى أهدافه؛ ومن الجدير بالذكر أن نستكشف عناصر كلّ علم قبل الولوج إلى تعلّم مسائله وامتلاك مهاراته الخاصّة.

أوّلاً: نظام علم التفسيرالعام[1]

ويشتمل على بيان التعريف والموضوع والهدف:

أولا: علم التفسير:

يُعرّف العلم - في اصطلاح علم التفسير - بأنّه: مجموعة من المسائل المرتّبة منطقياً تُدرس في محور أو موضوع واحد بمنهج معيّن ومن أجل تحقيق هدف محدّد.

التفسير لغةً: يقول ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): (الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه؛ من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه، والفَسْر والتَّفسِرَة: نظَر الطَّبيب إلى الماء وحُكمهُ فيه)[2].

يمكن الخلوص إلى نتيجة بسيطة، وهي: أنّ هذه المادّة (فسر) تدلّ على البيان والإيضاح لكُنهِ الشيء أو معناه، فالمراد منها الكشف عن المفهوم اللغوي أو المفهوم اللغوي المعقول كما عبّر بعضهم، كما أنّ مورد استعماله هو ما أبهم وخفي أو ما أشكلَ ولا يختصّ ذلك بالكلمة الواحدة أو الجملة أو الجمل أو اللفظ.

وأما مفردة (التفسير) فقد استخدمت بثلاثة معانٍ:

١- استُعمل التفسير بمعنى فعل المفسّر وعمله، وهو التفسير الاصطلاحي، وهو الذي يشكّل موضوع هذا الكتاب.

٢- واستُعمل التفسير ويراد منه: الكتاب الذي وضعَ لتوضيح آيات القرآن وشرحها، ومثاله: التفاسير التي كُتبت على مرّ العصور، نذكر منها على سبيل المثال: تفسير الميزان للعلاّمة الطباطبائيّ، وتفسير الأمثل، وغيرهما من التفاسير.

---

(١) البحث مستلّ من كتاب منطق تفسير القرآن (١) أصول وقواعد التفسير/ الدكتور محمّد على الرضائيّ الأصفهانيّ، ص١٢بتصرف. (الناشر)

(٢) أحمد بن فارس زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، مادّة (فسر).

والتي يراد منها هنا مجموعة المعطيات المتعلّقة بالقرآن الحاصلة نتيجة بحث المفسّر، والمجموعة في كتاب واحد.

وهذه المجموعة من المعلومات عادةً ما تكون أعمّ من المعنى الاصطلاحي، أي إنّها تشمل عمل المفسّر واستنباطاته من الآيات، وكذا تشمل مباحث علوم القرآن، والمعلومات التي قد ترتبط بالقرآن بنحوٍ معيّن.

٣- التفسير بمعنى (علم التفسير)، أي العلم الذي يحتوي على الأركان المعروفة في تشكيل العلوم، كالموضوع، والمسائل، والمبادئ التصوّرية، والتصديقيّة.

أي إنّ التفسير له موضوع، وتعريف، وهدف، وفائدة، وأصول يرتكز عليها(١).

ومن هنا فإنّ التفسير يُعدّ أحد العلوم المرتبطة بالقرآن، حيث يمتدّ عمره إلى ما يقارب الألف سنة(٢).

ويمكن القول: إنّ علم التفسير: هو ذلك العلم الذي يعرّف الإنسان بمعاني الآيات القرآنيّة ومقاصدها، ومصادرها، وأُسسها، ومناهجها، ومعاييرها، وقواعدها.

ثانيا: موضوع علم التفسير:

أمّا موضوع علم التفسير فهو: الآيات القرآنيّة، والخطاب الإلهيّ المنزل على قلب النبي الأكرم ﷺ على هيئة الوحي القرآنيّ.

ثالثا: الهدف

وأمّا هدفه فهو: اكتساب مَلَكة الاستنباط الصحيح لبيان معاني آيات القرآن الكريم

(١) مفردة علوم القرآن قد تُستعمل بمعنًى أخصّ ويراد بها ما يقابل التفسير، وأحياناً تُستعمل بمعنًى أعمّ ويراد بها ما يشمل التفسير وغيره.

(٢) لابدّ لكلّ علم من أن يحتوي على ركائز ثمانٍ هي: الهدف، والفائدة، ووجه التسمية، والمؤلّف، ونوع العلم، ومرتبة العلم، وأبواب العلم، ونهج البحث، وأجزاء الموضوع والمبادئ التصوّرية والتصديقية والمسائل.

ومقاصدها.

وأمّا فائدته فهي: فهم المراد الاستعماليّ (معاني الآيات)، والمراد الجدّيّ لله تعالى (مقاصد الآيات).

نظاما علمي التفسير الترتيبي والموضوعي:

هناك نظامان في علم التفسير، أحدهما: منظومة التفسير الترتيبيّ، وفيه يتمّ تفسير آيات القرآن الكريم وتوضيح المراد الجدّيّ منها بحسب ترتيبها في المصحف الشريف آية بعد آية، وثانيهما: منظومة التفسير الموضوعيّ، والذي يكون العمل فيه على تناول موضوع معيّن أو محور خاص من الآيات الكريمة، ليبحثها المفسّر من أجل الوصول إلى الرؤية النهائيّة لمجموع الآيات حول ذلك الموضوع المنتخب.

نظام علم التفسير الترتيبي

إنّ علم التفسير (الترتيبيّ) يتألّف في منظومته العامّة من عدّة عناصر أساسية هي:

١- أصول التفسير.

٢- قواعد التفسير.

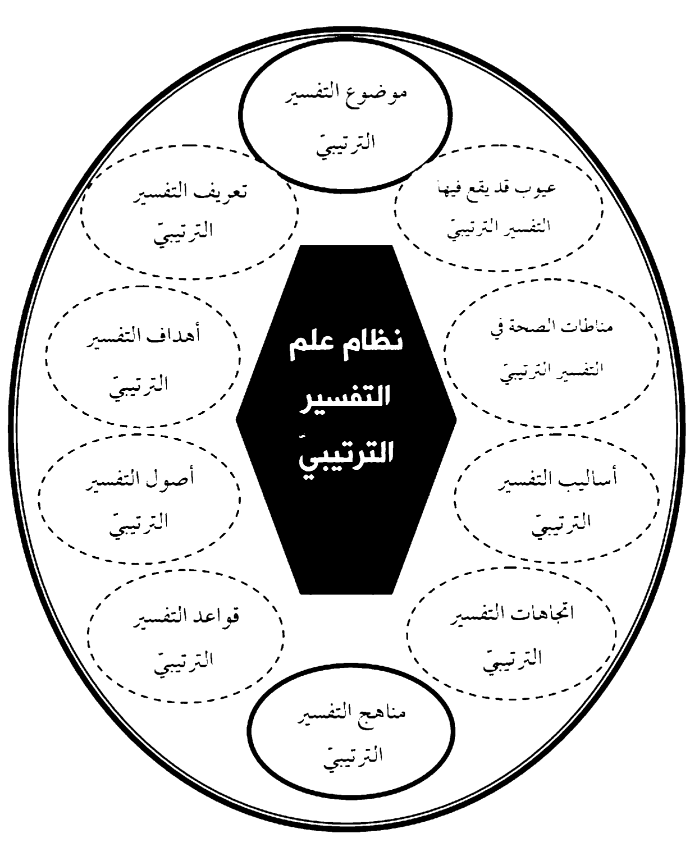
٣- مصادر التفسير.

٤- شروط المفسّر.

٥- ضوابط فهم التفسير ومعايير التفسير المعتبر.

٦- مناهج التفسير.

٧- اتجاهات التفسير.



شكل (٢): يوضح منظومة علم التفسير بالأسلوب الترتيبيّ

ثانياً: نظام علم التفسير (الموضوعيّ)

بعد أن عرفنا أنّه يوجد لدينا علم التفسير الترتيبيّ المشتمل على مجموعة من المعلومات ذات الصلة بإيضاح الآيات القرآنيّة المبرمجة تحت نظام معماريّ خاص(الموضوع، والهدف، والمنهج، والاتجاه، والأصول والقواعد وغيرها)، بقي علينا أن نتعرّف عناصر نظام التفسير المكوّنة والموجدة لنظام التفسير الموضوعيّ، نستعرضها على النحو الآتي:

١- تعريف التفسير الموضوعيّ: ويدخل فيه نشأته، وتاريخه، وبعض التوضيحات الخاصّة ببيان التعريف.

٢- موضوع التفسير الموضوعيّ.

٣- أهداف التفسير الموضوعيّ.

٤- مصادر التفسير الموضوعيّ.

٥- أصول التفسير الموضوعيّ.

٦- قواعد التفسير الموضوعيّ.

٧- أقسام التفسير الموضوعيّ.

٨- أشكال التفسير الموضوعيّ.

٩- أساليب التفسير الموضوعيّ.

١٠- آفات التفسير الموضوعيّ (العيوب المتوقّعة).

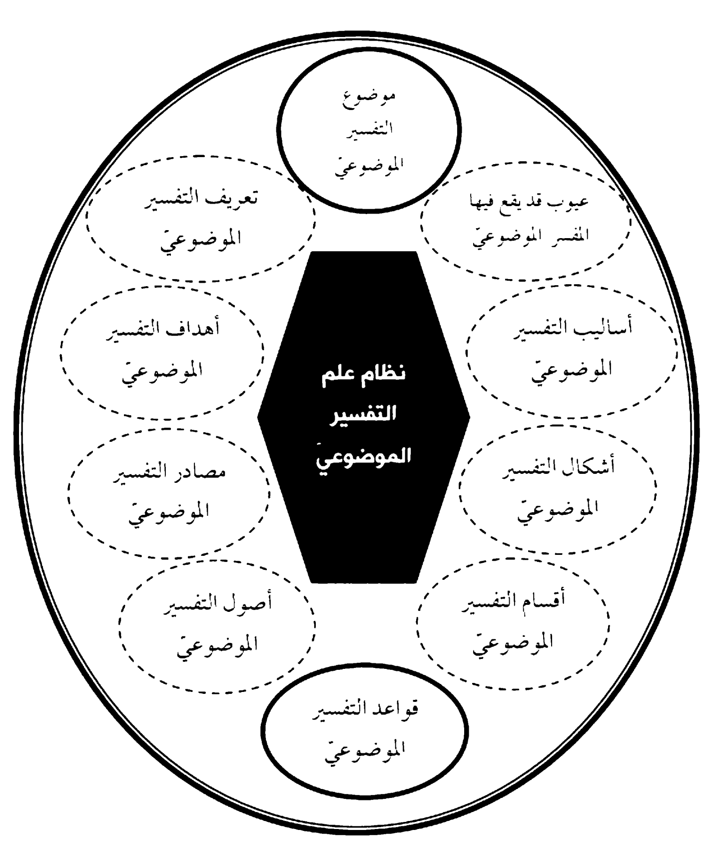
وعموماً نجد أنّ نظام التفسير الموضوعيّ يستند إلى ركيزتين أو يعتمد على ركنين:

أوّلاً: القرآن والسنّة المعصومة، وهو الركن الداخليّ.

ثانياً: معلومات وفرضيات المفسّر الموضوعيّ، وهي الركن الخارجي(١).

---

(١) سيد هدايت جليلي، روش شناسي تفاسير موضوعي قرآن، ص١٠.



شكل (٣) يوضح منظومة علم التفسير بالأسلوب الموضوعيّ

خلاصة الدرس:

• للتفسير ثلاثة معانٍ: (عمل المفسّر وفعله، والكتاب المشتمل على معلومات توضّح الآيات، وعلم التفسير).

• إنّ علم التفسير (الترتيبيّ) يتألّف في منظومته العامة من عدة عناصر أساسية هي: (أصول التفسير، وقواعد التفسير، ومصادر التفسير، وشروط المفسّر، وضوابط فهم التفسير، ومناهج التفسير، واتجاهات التفسير).

• عناصر نظام التفسير المكوّنة والموجدة لنظام التفسير الموضوعيّ، وهي كما يأتي: (تعريف التفسير الموضوعيّ، موضوعه، أهدافه، مصادره، أصوله، قواعده، أقسامه، أشكاله، أساليبه، آفاته (العيوب المتوقّعة).

الأسئلة:

س١: أذكر استخدامات كلمة التفسير.

س٢: ما هو موضوع علم التفسير؟

س٣: ما هي العناصر التي تكوّن نظام التفسير الترتيبيّ؟

س٤: ما هي العناصر التي تكوّن نظام التفسير الموضوعيّ؟

س٥: وضّح باختصار جدّاً الفرق بين التفسير الترتيبيّ و الموضوعيّ.

س٦: حلّل العبارة الآتية: (يُعرّف العلم بأنّه: مجموعة من المسائل المرتّبة منطقياً تُدرس في محور أو موضوع واحد بمنهج معيّن ومن أجل تحقيق هدف محدّد).

الدرس الثاني: تعريف التفسير الموضوعيّ

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: أن يعرف الطالبُ التفسير الموضوعيّ.

أهداف ثانويّة:

١- بيان فكرة إيجاد التعريف.

٢- بيان تعريف التفسير وشرحه.

٣- عرض تعريفاتٍ عدّة للتفسير الموضوعيّ.

المحتوى العلميّ:

تقوم فكرة إيجاد التعريف للتفسير الموضوعيّ على الدمج بين اصطلاح (التفسير) وبين الاصطلاح (الموضوعيّ)؛ لذا سوف نعرف عرض التعاريف الخاصّة بهما؛ من أجل اختيار الأفضل في نهاية المطاف.

أوّلاً: التفسير اصطلاحاً:

وقد عرّفه الدكتور رضائي بأنّه: بيان المعنى الاستعماليّ لآيات القرآن الكريم، وإيضاح المراد الجديّ لها على أساس قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائيّة، وذلك بالاستناد إلى المصادر والقرائن المعتبرة[1].

وعليه، فالتعريف متكوّن من أربعة أرباع: (بيان المعنى الاستعمالي لآيات القرآن الكريم)، (إيضاح المراد الجدّيّ لها)، (على أساس قواعد اللغة العربيّة)، (وأصول المحاورة

(١) د. الرضائي، أصول وقواعد التفسير، ص١٣.

العقلائية، وذلك بالاستناد إلى المصادر والقرائن المعتبرة).

الملاحظة الأولى: إنّ النصف الثاني (تبعاً لقواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائيّة، وبالاستناد إلى المصادر والقرائن المعتبرة) من التعريف إنّما هو أداة لتحصيل النصف الأوّل (بيان المعنى الاستعماليّ لآيات القرآن الكريم، وإيضاح المراد الجدّيّ لها).

الملاحظة الثانية: إنّ الربع الثالث (تبعاً لقواعد اللغة العربية) هو خادم للربع الأوّل (بيان المعنى الاستعماليّ لآيات القرآن الكريم)؛ بل وأداة لتحقيقه.

الملاحظة الثالثة: إنّ الربع الرابع (أصول المحاورة العقلائية) هو خادم للربع الثاني (إيضاح المراد الجدي لها)، بل وأداة لتحقيقه.

وعليه، فالتعريف المختار للتفسير هو: عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدّيّ لله تعالى منها.

ثانياً:(الموضوع) لغةً واصطلاحاً.

الموضوع لغةً: الواو والضاد والعين: أصلٌ واحد يدلُّ على الخَفْض وحَطِّه. ووَضَعتُه بالأرض وضعاً، ووضَعت المرأة ولدَها. وُضِع في تِجارته يُوضَع: خَسِر[1]، والوضع جعل الشيء في محلّ[2]، فأخذ قيد الثبات أو التثبيت في المعنى، فيشتمل على عدم التحرّك والاستقرار في مكانه أو حالته الجديدة.

وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعيّ؛ لأنّ المفسّر يرتبط بمعنى معيّن لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده.

الموضوع اصطلاحاً: فالموضوع اسم مفعول من وضَعَ، وهو المادَّةُ التي يبني عليها المتكلمُ أو الكاتب كلامه[3]، ولا نقصد من الموضوع هنا موضوع العلم (وهو الذي يبحث في

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادّة (وضع).

(٢) الشيخ حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، مادة (وضع).

(٣) محمّد سليمان، معجم المعاني الجامع، مادّة (وضع).

العلم عن عوارضه الذاتيّة)(١)، و لانقصد به الموضوع في علم الدراية من الوضع بمعنى الجعل، ولذا فسّروه بالمكذوب المختلق المصنوع(٢)، بل قد ذكر الشهيد الصدر قدس سره ثلاثة معانٍ لمصطلح الموضوعيّة:

أوّلاً: (الموضوعيّة) في مقابل (الذاتيّة) و(التحيّز)، و الموضوعيّة بهذا المعنى عبارة عن الأمانة والاستقامة في البحث، والتمسّك بالأساليب العلمية المعتمدة على الحقائق الواقعيّة في نفس الأمر والواقع، دون أن يتأثّر الباحث بأحاسيسه ومتبنّياته الذاتيّة، ولا أن يكون متحيّزاً في الأحكام والنتائج التي يتوصّل إليها(٣).

وهذه (الموضوعيّة) أمر صحيح ومفترض في كلا المنهجين (التجزيئيّ) و(الموضوعيّ)، ولا اختصاص لأحدهما بها.

ثانياً: (الموضوعيّة) بمعنى أن يبدأ في البحث من (الموضوع) الذي هو (الواقع الخارجيّ)، ويعود إلى (القرآن الكريم)؛ لمعرفة الموقف تجاه الموضوع الخارجيّ؛ لأنّ الموضوع في كلمة التفسير الموضوعيّ يُقصد به الواقع في مقابل الذات بحسب الاصطلاح الفلسفي في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، أي إنّني أذهب إلى الموضوع الذي هو الخارج، ثمّ آخذ منه مشكلته لأعرضها على النصّ؛ فالذهنية هنا هي ذهنيّة إنسان يريد أن يحلّ مشكلة، أو يحقّق تكاملاً على أرض الواقع، وليست ذهنيّة إنسانٍ يريد أن يفكّك نصوصاً، أو يحلّل كلمات، أو يقارب مقاطع لفظية(٤).

فيركز المفسّر - في منهج التفسير الموضوعيّ - نظره على موضوع من موضوعات الحياة

---

(١) المشكيني، ميرزا علي، اصطلاحات الأصول ومعظم أبحاثها، ص١٦٨.

(٢) علي أكبر غفاري، دراسات في علم الدراية، ص٨٠.

(٣) السيد محمّد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٤٣٥.

(٤) الشيخ حيدر حبّ الله، الشهيد الصدر والنظريات القرآنيّة الجديدة، حوار، أجرى الحوار: شبكة إيكنا العالميّة ونشر عام ٢٠٠٩م.

العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني عن ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنساني من حلول وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ، ثمّ يأخذ النصّ القرآنيّ ويبدأ معه حواراً، فالمفسّر يسأل، والقرآن يجيب، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح.

وقد يسمّى هذا المنهج أيضاً (المنهج التوحيديّ)، بلحاظ أنّه يوحّد بين (التجربة البشريّة) و(القرآن الكريم)، لا بمعنى أنّه يحمل التجربة البشرية على القرآن؛ بل بمعنى أنّه يوحّد بينهما في سياق واحد؛ لكي يستخرج نتيجة هذا السياق المفهوم القرآنيّ الذي يمكن أن يحدّد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية.

ثالثاً: وقد يراد من (الموضوعيّة) ما يُنسب إلى الموضوع، إذ يختار المفسّر موضوعاً معيّناً ثمّ يجمع الآيات التي تشترك في ذلك الموضوع فيفسّرها، ويحاول استخلاص رؤية قرآنيّة منها فيما يخصّ ذلك الموضوع.

ويمكن أن يسمّى مثل هذا المنهج منهجاً توحيدياً أيضاً باعتبار أنّه يوحّد بين هذه الآيات ضمن مركّب نظري واحد.

تعريف التفسير الموضوعيّ:

نحاول أوّلاً أن نعرض للطالب العزيز مجموعة من التعاريف التي صاغها الباحثون في طيّات كتبهم، ثمّ نختار منها تعريفاً مناسباً لضوابط علم التفسير والهدف منه، وأمّا التعاريف فهي كما يأتي:

أوّلاً: هو إفراد الآيات القرآنيّة التي تعالج موضوعاً واحداً وهدفاً واحداً بالدراسة والتفصيل، بعد ضمّ بعضها إلى بعض، مهما تنوّعت ألفاظها، وتعدّدت مواطنها، دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدّم والمتأخّر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنّة النبويّة، وأقوال السلف الصالح المتعلّقة بالموضوع[1].

---

(١) انظر التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم ص٧، د. محمّد أحمد القاسم، وكتاب البداية في التفسير

ثانياً: (هو ذلك العلم الذي يبحث في قضايا القرآن الكريم المتّحدة معنًى أو غايةً، عن طريق جمع آياتها المتفرّقة والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة؛ لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباطها الجامع.

ومعنى ذلك: أنّ الباحث يستقرئ الآيات الواردة في معنًى معيّن أو غاية معيّنة، ثمّ يدرسها دراسة يستخرج من خلالها الأهداف والمعالم، ولا شكّ في أنّ هذا اللون من ألوان التفسير له أهمّيّة كبيرة؛ ولاسيّما في هذا العصر الذى تعيش فيه الإنسانية شكلاً معيّناً من أشكال الحياة، فقد وصلت إلى مرحلة فكريّة يناسبها تماماً رصد الآيات في الموضوع الواحد وشرحها بطريقة خاصّة)(١).

ثالثاً: تعريف السيّد محمّد باقر الحكيم: (التفسير الموضوعيّ هو الذي يقوم على أساس دراسة موضوعات معيّنة تعرّض لها القرآن الكريم في مواضع متعدّدة أو في موضع واحد، وذلك من أجل تحديد الرؤية القرآنيّة بملامحها وحدودها في الموضوع المعيّن، وفي مقابل ذلك يكون (التفسير التجزيئيّ) الذي يتناول المفسّر في إطار القرآن الكريم آية فآية تبعاً لتسلسل تدوين الآيات في المصحف الشريف(٢).

رابعاً: يرى الخضيري أنّ التفسير الموضوعيّ هو علم وفن، وقد عُرِّف عدة تعريفات نختار منها ما نظنّه أجمعها وأكثرها اختصاراً، وهو: علمٌ يتناول القضايا بحسب المقاصد القرآنيّة من خلال سورة أو أكثر(٣).

خامساً: تعريف الدكتور محمّد على الرضائيّ الأصفهانيّ: (يقوم المفسّر بجمع كلّ ما يتعلّق بالموضوع من آيات ثمّ يستفيد من طريقة تفسير القرآن بالقرآن، بأن يجعل كل آية قرينة

الموضوعيّ ص٥٢، د. عبد الحي الفرماوي.
(١) رمضان غريب الخميس، الإمام محمّد الغزالي جهوده في التفسير وعلوم القرآن، ص٢٣٩.
(٢) السيد محمّد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص٤٣٥.
(٣) مقدّمة في التفسير الموضوعيّ، محمّد بن عبد العزيز الخضيريّ، مقال.

على فهم الآيات الأُخرى، ثمّ الخروج برأي نهائي عن هذا الموضوع القرآنيّ)[1].

التعريف المختار: عبارةٌ عن بيان الرؤية الجدّية النهائية القرآنيّة الشاملة عن موضوعٍ ما وكشفها، وذلك باستخدام المنهج الكامل في التفسير.

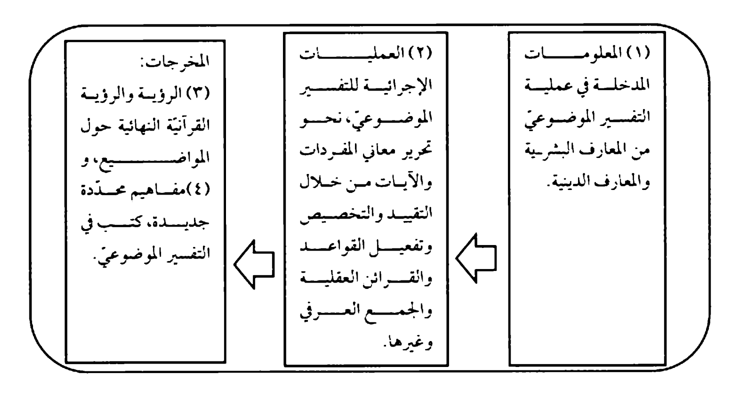
وقد اخترنا هذا التعريف باعتبار الهدف المقصود من التفسير الموضوعي، مع مراعاة منهجه وآلياته المتبعة.

شرح التعريف:

إظهار الرؤية الجدّيّة النهائيّة القرآنيّة الشاملة: المقصود منه استنباط رؤية القرآن الحقيقيّة والمقصودة جدّاً عن الموضوع؛ نتيجة تفاعلات معاني الآيات والجمع العرفيّ، بنحوٍ يشمل جميع الآيات الخاصّة بالموضوع، بحيث يمكن نسبة الرؤية العامة المستنبطة إلى القرآن الكريم.

(باستخدام المنهج الكامل في التفسير): المنهج الكامل والجامع هنا هو إفادة المفسّر من جميع الأدوات والمصادر والمناهج المعتبرة اللازمة في تفسير القرآن (مثل: المنهج القرآنيّ والروائي والعقلي والعلمي، وغيرها)، بحيث تتعيّن وبصورة كاملة جميع أبعاد الآية ومعانيها.

(١) محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ج١، ص٢١.



شكل (٤)

الشكل(٤) يوضّح العناصر الكبرى الأربعة للتفسير الموضوعيّ، ويبيّن أنّ مخرجات التفسير الموضوعيّ تدخل مرّة ثانية في رفد المدخلات وتقويتها بوساطة تقديم وجهات النظر القرآنيّة لبعض المواضيع وتحديد بعض المفاهيم، أو بوساطة الكتب المنظرة والمقننة للتفسير الموضوعيّ؛ وهي التي تسهم في إيجاد الطريق السليم والمنطقيّ والشرعيّ للتفسير الموضوعيّ.

خلاصة الدرس:

• تقوم فكرة إيجاد التعريف على الدمج بين اصطلاح (التفسير) وبين مصطلح (الموضوعيّ).

• يعرّف التفسير بأنّه: بيان المعنى الاستعمالي لآيات القرآن الكريم، وإيضاح المراد الجدّيّ لها تبعاً لقواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائيّة، وذلك بالاستناد إلى المصادر والقرائن المعتبرة.

• تعريف التفسير الموضوعيّ: عبارة عن بيان وكشف الرؤية الجدّية النهائية القرآنيّة الشاملة عن موضوع ما، وذلك باستخدام المنهج الكامل في التفسير.

الأسئلة:

س١: ما هي الفكرة في إيجاد تعريف للتفسير الموضوعيّ؟

س٢: ما هو تعريف التفسير؟

س٣: ما هو تعريف التفسير الموضوعيّ؟

س٤: أشرح العبارة الآتية: (التعريف متكوّن من أربعة أرباع: (بيان المعنى الاستعمالي لآيات القرآن الكريم)، (إيضاح المراد الجدّيّ لها)، (تبعاً لقواعد اللغة العربية)، (وأصول المحاورة العقلائية، وذلك بالاستناد إلى المصادر والقرائن المعتبرة)).

س٥: أذكر تعريف التفسير الموضوعيّ عند السيّد محمّد باقر الحكيم.

س٦: أذكر تعريف التفسير الموضوعيّ عند الدكتور الرضائيّ الأصفهانيّ.

الدرس الثالث: نبذة تاريخية عن التفسير الموضوعيّ

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: التعريف بالتطوّرات التاريخيّة التي مرّ بها التفسير الموضوعيّ.

أهداف ثانوية: تعريف الطالب بنشأة التفسير الموضوعيّ وبعض الملحوظات المهمّة عنه.

المحتوى العلميّ:

نبذة تاريخية عن التفسير الموضوعيّ:

إنّ التفسير المشهور في الأجيال الماضيّة هو تفسير القرآن بحسب السور والآيات الواردة في كلّ سورة، فمنهم مَن سنحت له الفرصة أن يفسّر آيات القرآن برمّتها، ومنهم مَن لم يسعفه العمر إلّا بتفسير بعض السور، وهذا النوع من التفسير الذي يطلق عليه اسم التفسير الترتيبيّ ينتفع به أكثر طبقات المجتمع الإسلاميّ، وكلٌّ بحسب استعداده وقابلياته.

بيد أنّ هناك لوناً آخر من التفسير يطلق عليه اسم التفسير الموضوعيّ الذي ظهر في العقود الأخيرة، واستقطب قسطاً كبيراً من اهتمام العلماء نظراً إلى أهمّيّته، وهو تفسير القرآن الكريم بحسب الموضوعات الواردة فيه من خلال جمع الآيات الواردة في سور مختلفة عن موضوع واحد، ثمّ تفسيرها جميعاً والخروج بنتيجة واحدة، وقد أُطلق على هذا الشيء من التفسير بالتفسير الموضوعيّ.

وأوّل مَن طرق هذا الباب لفيف من علماء الشيعة عند تفسيرهم آيات الأحكام الشرعية المتعلّقة بعمل المكلّف في حياته الفردية والاجتماعية؛ فإنّ النمط السائد على تآليفهم في هذا الصعيد هو جمع الآيات المتفرّقة الراجعة إلى موضوع واحد في مبحث واحد، فيفسّرون ما يرجع إلى الطهارة في القرآن في باب واحد، كما يفسّرون ما يرجع إلى الصلاة في مكان خاصّ،

وهكذا سائر الآيات، وهذا كتاب (منهاج الهداية في شرح آيات الأحكام) للشيخ جمال الدين بن المتوج البحراني (المتوفّى عام ٨٢٠هـ)، و(كنز العرفان في فقه القرآن) للشيخ السيوري الأسديّ الحلّيّ المعروف بالفاضل المقداد (المتوفّى عام ٨٢٦هـ)، إلى غير ذلك ممّا أُلّف في هذا الصدد، وهذا على خلاف ما كتبه أهل السنّة في تفسير آيات الأحكام كالجصّاص وغيره؛ فإنّهم فسّروا آيات الأحكام بحسب السور، وقد اعترف بذلك الشيخ الذهبي في كتابه (التفسير والمفسّرون).

يقول الذهبي عندما تطرّق إلى تفسير (كنز العرفان في فقه القرآن): يتعرّض هذا التفسير إلى آيات الأحكام فقط، وهو لا يتماشى مع القرآن سورة فسورة على حسب ترتيب المصحف ذاكراً ما في كلّ سورة من آيات الأحكام، كما فعل الجصّاص وابن العربي مثلاً، بل طريقته في تفسيره هو أنّه يعقد فيه أبواباً كأبواب الفقه، ويدرج في كلّ باب منها الآيات التي تدخل تحت موضوع واحد، فمثلاً يقول: باب الطهارة، ثمّ يذكر ما ورد في الطهارة من الآيات القرآنيّة، شارحاً كلّ آية منها على حدة، مبيّناً ما فيها من الأحكام على حسب ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية[1].

ثمّ إنّ أوّل مَن توسّع في التفسير الموضوعيّ هو شيخنا العلّامة المجلسي، فقد اتّبع هذا المنهج في جميع أبواب موسوعته النادرة (بحار الأنوار)، حيث جمع الآيات المرتبطة بكلّ موضوع في أوّل الأبواب وفسّرها تفسيراً سريعاً، وهذه الخطوة وإن كانت قصيرة لكنّها جليلة في عالم التفسير، وقد قام بذلك مع عدم وجود المعاجم القرآنيّة المشهورة في تلك العصور[2].

ولم يظهر هذا المصطلح (التفسير الموضوعيّ) إلاّ في القرن الرابع عشر الهجري، وذلك عندما قُرّرت هذه المادّة ضمن موادّ قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلاّ أنّ لبنات هذا اللون – الأسلوب – من هذا التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر

(١) محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن(التفسير والمفسرون): ١٠/ ٣٢٨- ٣٢٩.
(٢) الشيخ جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن، ج١، ص٩.

التنزيل في حياة رسول الله"[1].

تطوّر الدراسات الموضوعيّة للقرآن:

لقد مرّت الدراسات الموضوعيّة في القرآن الكريم بتطوّرات وأشكال عديدة ومهمّة منها:

أوّلاً: ظهور الدراسات اللغوية في الجانب اللفظي في بادئ الأمر كما هو الحال في دراسات الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر، نحو كتاب (الوجوه والنظائر) للدامغانيّ المتوفى ٤٧٨هـ[2].

ثانياً: ظهور الدراسات اللغوية في الجانب المعنائي والبلاغي كدراسة الأمثال القرآنيّة، نحو كتاب (أمثال القرآن) للماوردي المتوفى ٤٥٠هـ والمجازات القرآنيّة نحو كتاب (مجاز القرآن) لابن سلام المتوفى ٢٣٢هـ وغيرها كدراسة أقسام القرآن[3].

ثالثاً: الدراسات الفقهية الموضوعيّة نحو: (أحكام القرآن) للقرطبيّ.

رابعاً: الدراسات العقائديّة الموضوعيّة: مما يرتبط بعلم الكلام، وبالإلهيات، والنبوّة، والمعاد.

خامساً: الدراسات الموضوعيّة العلمية وظهور الدراسات البينيّة[4]: كالسنن الكونيّة، أو الجنين في القرآن، أو الشمس بين العلم والقرآن الكريم.

نشأة التفسير الموضوعيّ:

ذكرنا أنّه لم يظهر هذا المصطلح ليدلّ على علم معيّن إلاّ في القرن الرابع عشر الهجريّ،

---

(١) د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعيّ، ص ١٧، دار القلم دمشق، ط٣، ٢٠٠٠م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سيأتي الكلام عنه في الدرس الثامن بتفصيل أكثر.

عندما قُرِّرت هذه المادّة ضمن موادّ قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، إلاّ أنّ لبنات هذا الأسلوب من التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوّة وما بعده، ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور الآتية:

١- تفسير القرآن بالقرآن: لا ريب في أنّ تفسير القرآن بالقرآن هو لبّ التفسير الموضوعيّ وأعلى ثمراته؛ وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي ﷺ يربّي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أنّ رسول الله فسّر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾(١)، فقال: مفاتح الغيب خمسة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢).

ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة من الجمع بين الآيات القرآنيّة التي يُظنُّ بينها تعارضٌ؛ وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأنّ أوّل ما يرجع إليه المفسّر القرآن الكريم؛ إذ ما أجملَ في مكان إلاّ وقد فصّل في آخر، وما أطلق في آية إلاّ وقد قيّد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة إلاّ وجاء ما يخصّصه في سورة أخرى، وهذا الأسلوب من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها؛ إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله.

٢- آيات الأحكام: قام الفقهاء بجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض، وذكروا ما نصّ عليه وما استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك، وكله داخل تحت مسمّى التفسير الموضوعيّ.

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) لقمان: ٣٤. وينظر: العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ١٩٨٦م: ٨/ ١٤٦، رقم الحديث: ٤٦٢٧.

٣- الوجوه والنظائر (أو الأشباه والنظائر): وهو اتجاه نحاه بعض العلماء في تتبّع اللفظة القرآنيّة، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك: كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه بحسب ما ذكره الدامغاني في كتابه (إصلاح الوجوه والنظائر)، وهي: المال كقوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾(١)، والإيمان كقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾(٢)، والإسلام كقوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾(٣)، وبمعنى أفضل كقوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٤)، والعافية كقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥)، والأجر كقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾(٦)، والطعام كقوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٧)، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال كقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾(٨).

وهذا - كما ترى - لونٌ من التفسير الموضوعيّ، وهو أوّل وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات القرآن، حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثمّ يعرفون دلالة اللفظ في أماكن وروده.

ملحوظات عن تاريخ التفسير الموضوعيّ:

١- الموضوع المعيّن والتفسير الموضوعيّ مقولتان متمايزتان في علم التفسير وتاريخه، فالتفسير الموضوعيّ حاله حال بقية العلوم والبحوث؛ وله مقامان: مقام الجمع، ومقام

(١) البقرة: ١٨٠.
(٢) الأنفال: ٢٣.
(٣) القلم: ١٢.
(٤) المؤمنون: ١٠٩.
(٥) الأنعام: ١٧.
(٦) الحج: ٣٦.
(٧) القصص: ٢٤.
(٨) الأحزاب: ٢٥.

الحكم؛ فجمع الآيات القرآنيّة الخاصّة بموضوع معيّن لا يعدّ تفسيراً موضوعيّاً؛ لأنّه يفتقد العنصر الآخر، وهو الحكم على الموضوع، وذلك نحو كتاب (المدخل إلى التفسير الموضوعيّ) للسيّد محمّد باقر الأبطحيّ.

٢- نشاهد في بعض التفاسير الترتيبيّة المعاصرة إدراج مباحث تفسيرية موضوعية مستقلّة، كتفسير الميزان والمنار والأمثل؛ إذ يعدّ ولادة أبحاث كهذه حركة جديدة وقوية تكشف عن أنّ المفسّرين أدركوا حاجة العصر إلى معرفة رؤية القرآن الكريم عن بعض المواضيع، ففي حين كانوا يتمسّكون بسيرة السلف الصالح من المفسّرين حاولوا التجديد والعمل على إدخال التفسير الموضوعيّ بوصفه نوعاً جديداً ووليداً في أحضان التفسير الترتيبيّ[1].

٣- إنّ التفسير الموضوعيّ ليس تفسيراً للقرآن بالقرآن، وإنّما الثاني هو مرحلة من مراحله وآلية من آليات التفسير الموضوعيّ[2].

خلاصة الدرس:

للتفسير الموضوعيّ جذور تاريخية تصل إلى عصر النبوّة، إلاّ أنّه لم يبرز بصفة علم أو منهج دراسي إلاّ في القرن الرابع عشر تقريباً في كلّية أصول الدين في جامع الأزهر، وأما قبل ذلك فقد كان على صورة تفسير القرآن بالقرآن أو تفسيرٍ لآيات الأحكام وغيرها.

---

(١) سيد هدايت جليلي، روش شناسي تفاسير موضوعي قرآن (أساليب التفاسير الموضوعيّة)، ص ٢٨.
(٢) المصدر السابق، ص٩٢.

الأسئلة:

س١: عدد مراحل تطوّر الدراسات الموضوعيّة في القرآن الكريم.

س٢: ما هي الملحوظات عن تاريخ التفسير الموضوعيّ؟

س٣: بيّن كيف أنّ علم الوجوه والنظائر يمكن أن يعدّ من التفسير الموضوعيّ؟

س٤: ما هو دور العلاّمة المجلسي في تأسيس التفسير الموضوعيّ؟

س٥: وضّح كيف أنّ تفسير القرآن بالقرآن يعدّ باباً من أبواب التفسير الموضوعيّ؟

س٦: متى ظهر اصطلاح التفسير الموضوعيّ ضمن الموادّ الدراسية؟ وأين؟

الدرس الرابع: المحدّدات العامّة للتفسير الموضوعيّ ومميّزاته

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: معرفة هوية التفسير الموضوعيّ.

أهداف ثانوية:

١- معرفة موضوع التفسير الموضوعيّ وأهدافه وخصائصه ومصادره.

٢- معرفة نقاط الاختلاف والتمايز بين التفسير الترتيبيّ و الموضوعيّ.

المحتوى العلمي:

تمهيد:

إنّ طبيعة التفسير الموضوعيّ الناشئة من تمحوره على جمع المعلومات التفسيرية لبيان الرؤية القرآنيّة عن سؤال محدّد، أو موضوع معيّن، أو مشكلة يسعى الباحث إلى اكتشاف رأي القرآن فيها؛ هي طبيعةٌ مغايرة للتفسير الترتيبيّ الذي عاش عليه أغلب المفسّرين وأقدمهم، وبالنتيجة ستكون هناك مميّزات للتفسير الموضوعيّ ناشئة عن ذاته وطبيعته تميّزه عن الترتيبيّ وتبيّن ما انماز به عنه؛ فلابدّ من النظر إلى التفسير الموضوعيّ من جوانب الموضوع المبحوث عنه، والأهمّية، والفوائد، والخصائص، أو المميّزات، والمصادر وغيرها ممّا يعدّ محدّداً أو معرّفاً ولو بنحو ما للتفسير الموضوعيّ.

أوّلاً: موضوع التفسير الموضوعيّ.

لابدّ أن نشير وبحسب التعريف المختار إلى أن موضوع التفسير الموضوعيّ ليس هو فهم المفردات أو فهم منطوق الآية أو المراد الجدّيّ من آية ما؛ بل هو مجموعة من الآيات المتناولة لموضوع قرآني معيّن.

ثانياً: أهداف التفسير الموضوعيّ.

إنّ الهدف الأساسيّ لهذا التفسير هو الخروج برأي نهائيّ للقرآن عن موضوع معيّن والوصول إلى رؤية القرآن حوله.

كما يساهم التفسير الموضوعيّ في الوقوف على عظمة القرآن الكريم من خلال مواضيعه المتنوّعة ومعرفة تشريعات القرآن النيّرة والمتعدّدة في معالجة قضايا الأمّة.

ويُعدّ التفسير الموضوعيّ في أهمّ أغراضه تفسيراً دعوياً تربوياً اجتماعياً عصريّاً؛ وهو كذلك يهدف إلى بيان الحقائق القرآنيّة في موضوعات معيَّنة، واستجلاء المنهج القرآنيّ في تناولها؛ ويبني المفاهيم الحياتية والاستراتيجية على قالب الإسلام وأصله، وبذلك فهو الأداة التي تمثّل المرجع في حلّ جميع المشاكل ومواكبة تطوّرات الحياة.

ثالثاً: خصائص التفسير الموضوعيّ:

١- جمع الآيات المتعلّقة بموضوع واحد ودراستها؛ فمثلاً نقوم باستخراج جميع الآيات المتعلّقة بالتوحيد أو المعاد أو غيرها، بالإفادة من الفهارس الموضوعيّة أو المعاجم المفهرسة وتفسير بعضها ببعضها الآخر.

٢- جعل الآيات المحكمة في القرآن هي المحور وإرجاع الآيات المتشابهة إليها(١).

٣- عادة ما يكون التفسير الموضوعيّ تفسيراً عملياً يرتبط بالتجربة الحياتية للبشر، حيث يسعى إلى حلّ المشكلات والأسئلة المطروحة.

٤- من خصائص التفسير الموضوعيّ هو التحرّر من قيود الزمان والمكان، حيث يلغي الخصوصيات الزمانيّة والمكانيّة للآيات (كما هو الحال في قصص القرآن)، ويستخرج لبّ المعنى من الآية ويستخدمها بوصفها قاعدةً وقانوناً كليّاً للإجابة عن الأسئلة والمشاكل التي

(١) لا تعد هذه الخصيصة مائزة للتفسير الموضوعي من التفسير التجزيئي؛ لأنها خصيصة تلازم التفسير التجزيئي كذلك.(الناشر)

تواجه الفرد والمجتمع.

رابعاً: فوائد التفسير الموضوعيّ:

١- الحصول على الرأي النهائي للقرآن عن موضوع معيّن.

٢- الإجابة عن الأسئلة الجديدة للبشرية بالإفادة من آيات القرآن.

٣- رفع الإبهام الابتدائيّ في آيات القرآن وتوضيح الآيات المتشابهة.

٤- الاطّلاع على شرائط الموضوعات وأسباب المسائل المختلفة والنتائج المطروحة في القرآن.

٥- الحصول على الأسرار والمعاني الجديدة للقرآن عن طريق ضمّ الآيات بعضها إلى بعض.

٦- الحصول على تفسير جامع عن الموضوعات المختلفة مثل: التوحيد، ووجود الله، المعاد وغيرها[1].

خامساً: الاختلاف بين التفسير الترتيبيّ و الموضوعيّ.

١- الموضوع في التفسير الترتيبي هو الآية القرآنية، أما في الموضوعي فهو مجموعة من الآيات، كما أن الهدف في الترتيبي هو الحصول على فهم محدد بحدود الآية، وبيان المراد منها، أما في الموضوعي فالهدف هو الخروج برؤية قرآنية من مجموع الآيات المبحوثة ومعرفة رأي القرآن النهائي في الموضوع المبحوث.

٢- التفسير الترتيبيّ يبيّن مدلول الآية سائراً وفق تراتبية الآيات بالمصحف وقد يوظف آيات أخرى إذا احتاج لذلك، في حين أنّ التفسير الموضوعيّ ينطلق من الموضوع أو المفردة إلى المدلول المركّب وبالنتيجة الحصول على الرؤية القرآنيّة الكاملة[2].

---

(١) من النقطة (٣ - ٦) نقلاً عن: مكارم الشيرازيّ، نفحات القرآن، ج١، ص٢٢، ٢٣.

(٢) لقد دشّن الشهيد الصدر الأسس الرؤية لضوابط التفسير الموضوعيّ، وذكر خصائصه وصلته بالواقع،

٣- لا يمكن الحصول على نتيجة نهائية كاملة للموضوع في التفسير الترتيبيّ، في حين أنّ التفسير الموضوعيّ يعطي رؤية كاملة وجامعة عن الموضوع القرآنيّ.

ملحوظة: قد تؤدّي هذه المسألة بالأفراد إلى الخطأ في فهم آيات القرآن -النظر إلى القرآن بصورة مجتزأة- ومِن ثَمّ بروز الاختلافات المذهبية؛ فمثلاً يستند المجبّرة إلى الآيات التي يدلّ ظاهرها على الجبر ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾(١)﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(٢)، أمّا المفوّضة والذين يعتقدون بحرّيّة الإنسان فيستندون إلى آيات أُخرى توافق مذهبهم كالآية ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٣) في حين يمكن الحصول على رأي معتدل (الأمر بين الأمرين) فيما إذا أخذنا بجميع هذه الآيات، وهكذا في كثير من المسائل القرآنيّة كمسألة الشفاعة، الشرك، التوسّل، وأمثالها.

٤- يعدّ التفسير الترتيبيّ مقدّمةً للتفسير الموضوعيّ، وإنّ القيام بالتفسير الموضوعيّ دون الإحاطة والاطّلاع على التفسير الترتيبيّ غير صحيح؛ لمدخليته في تشكل الفهم النهائي عن الموضوع.

٥- يبدأ التفسير الترتيبيّ من النصّ، أمّا الموضوعيّ فيبدأ من واقع الحياة البشرية؛ أي إنّ التفسير الموضوعيّ يعالج الموضوعات التي تقع بالخارج والمشاكل والأسئلة التي تواجه الإنسان، وبعبارة أخرى: التفسير الترتيبيّ هو توضيح لآيات القرآن من دون الالتفات إلى الحاجات الفعليّة للمجتمع، أمّا التفسير الموضوعيّ فهو جواب للحاجات البشرية الفعليّة للمجتمع الإنساني، ولهذا عُدَّ من التفسير العملي التطبيقي.

ودوره في اكتشاف النظريات الإسلامية في مختلف الحقول المعرفيّة.(انظر المدرسة القرآنية، محاضرات في التفسير الموضوعي)

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) إبراهيم: ٤.

(٣) الإنسان: ٣.

٦- التفسير الترتيبيّ يكون من طرف واحد، والمفسّر يأخذ دور المنفعل دائماً، على عكس التفسير الموضوعيّ حيث يقوم المفسّر بدور إيجابيّ وفعّال؛ وذلك لأنّهُ يطرح الأسئلة على القرآن ويسعى إلى الحصول على الإجابات منه.

٧- التفسير الترتيبيّ سلبي(١) وعادة ما يكون من دون الالتفات إلى الآيات الأُخرى للقرآن، ودون طرح رؤية أو تناول موضوع سابق، أمّا التفسير الموضوعيّ فهو إيجابيّ، أي يقوم المفسّر بتفسير الآيات مع الالتفات إلى الآيات الأُخرى، وإعطاء الرأي النهائيّ للقرآن، وبعبارة أُخرى: التفسير الترتيبيّ لا يكشف عن الارتباط بين الآيات والمطالب والمفاهيم الموجودة في القرآن، بخلاف التفسير الموضوعيّ.

سادساً: مصادر التفسير

المقصود من مصادر التفسير هي: المستندات والمعلومات التي تكشف عن مقاصد الآيات، والتي يستعين بها المفسّر على فهم القرآن، ويعبّر عنها بالمآخذ، أو القرائن، أو أدوات فهم القرآن؛ ومصادر التفسير الموضوعيّ هي نفسها مصادر التفسير الترتيبيّ، ونشير إليها إجمالاً كما يأتي:

١- القرآن هو بنفسه من مصادر تفسير القرآن، وهو حجّة.

٢- العقل؛ والقطع منه حجّة لا الظن.

٣- السنة (قول النبي وأهل البيت ﷺ وفعلهم وتقريرهم)، وهي حجّة.

٤- العلوم التجريبية والانسانية حجّة؛ بشرط أن تكون قطعية.

٥- الشهود والمكاشفة؛ فهي ليست حجّة إلاّ لنفس الشخص العارف.

---

(١)- إن المفسر التجزيئي دوره في التفسير على الأغلب سلبي فهو يبدأ أولاً بتناول النص القرآني في حدود آية مثلاً أو مقطعاً قرآنياً دون أي افتراضات أو طروحات مسبّقة، ويحاول أن يحدد المدلول القرآني في ضوء مايسعفه به اللفظ، مع ما يتاح له من القرائن المتصلة والمنفصلة. وكأنّ دور النص فيها دور المتحدث ودور المفسر الإصغاء والتفهم. (المدرسة القرآنية؛ ص١٦)

وقد يستخدم بعض المفسرين مصادر أخرى للتفسير وهي ليست حجة، كالإجماع؛ الذي هو ليس بحجّة إلاّ فيما يورث القطع، أو أقوال الصحابة أو التابعين؛ التي هي ليست بحجّة أصلا، أوالاجتهاد الشخصيّ للمفسّر.

خلاصة الدرس:

موضوع التفسير الموضوعيّ هو مجموعة الآيات القرآنيّة المتناولة لموضوع معيّن، وهدفه هو الرؤية القرآنيّة، وينماز التفسير الموضوعيّ عن الترتيبيّ بعدة نقاط منها: أنّ الموضوعيّ إيجابي، ويكون المفسّر بدور المحاور، ويجاري الحياة العامة والعلمية، وعادة ما تكون مصادره مشتركة ومن العقل والقرآن والسنّة المعصومة.

الأسئلة:

س١: ما هو موضوع التفسير الموضوعيّ؟

س٢: ما هي أهداف التفسير الموضوعيّ؟

س٣: ما هي خصائص التفسير الموضوعيّ؟

س٤: ما هي فوائد التفسير الموضوعيّ؟

س٥: ما هي مصادر التفسير الموضوعيّ؟

س٦: ما هي وجوه الاختلاف بين التفسير الترتيبيّ و الموضوعيّ؟

الدرس الخامس: مشروعية التفسير الموضوعيّ

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: إثبات جواز عملية التفسير الموضوعيّ شرعاً.

أهداف ثانوية: التعريف بالأدلّة العقليّة، والعقلائيّة، والنقليّة من القرآن والسنّة على جواز التفسير الموضوعيّ.

المحتوى العلمي:

لقد واجه التفسير الموضوعيّ العديد من الإشكالات التي دفعت بعض الباحثين إلى التشكيك في جواز عملية التفسير الموضوعيّ، ممّا دفع كثير من الباحثين إلى الدفاع عنه وإثبات شرعيّته وجوازه، وإمكان الانتفاع بهذا الأسلوب البديع من التفسير الحيويّ والعمليّ والمتطوّر مع الزمن، والذي يلبّي حاجة الفرد المسلم ويروي عطشه؛ لمعرفة مقاصد الآيات، ويؤمّن احتياجات البشريّة والإسلام.

وعموماً فإن أدلّة جواز التفسير الموضوعيّ وحلّيّته تنقسم إلى محاورين:

الأوّل: الأدلّة القرآنيّة.

الثاني: الأدلّة من السنّة.

وأمّا التفصيل فهو - بحول الله - كما يأتي:

أولا: الأدلّة القرآنيّة.

يمكن استحصال المشروعيّة للتفسير الموضوعيّ بوساطة ثلاثة محاور قرآنية، أو بوساطة ثلاث مجموعات من الآيات، وهما كما يأتي:

المجموعة الأولى: وهي الآيات الدالّة على التدبّر في القرآن الكريم، وهي ما بين آمرٍ بالتدبّر في القرآن، وناهٍ عن ترك التدبر في القرآن الكريم، مثلاً:

١- قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

فالآية ظاهرة في طلب التدبّر في آيات القرآن الكريم.

٢- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2]. والآية ظاهرة في ذمّ ترك التدبّر في القرآن الكريم.

ومن الواضح أنّ التفسير الموضوعيّ شكل من أشكال التدبّر في القرآن الكريم، فهو مراد شرعاً ومطلوب قرآنياً.

المجموعة الثانية: وهي مجموعة آيات الأحكام الفقهية، وهذا الدليل على شكلين:

الأوّل: ما مارسه النبي أو الأئمّة من استنباط لموضوع فقهيّ من خلال الآيات؛ إذ يكون الموضوع الفقهيّ موجوداً في مجموعة من الآيات لا في آية واحدة.

مثال: استنتج الإمام علي من خلال الآيتين: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[3] و﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[4] بأنّ أقلّ مدّة للحمل هي ستة أشهر[5]. فإذا كانت مدّة الرضاع سنتين ومدّة الحمل والرضاع معاً ثلاثين شهراً، ووضعنا الآيتين جنباً إلى جنب، فتكون النتيجة واضحة وهي: أنّ أقلّ مدّة للحمل ستة أشهر، وهذا نوعٌ من تفسير القرآن بالقرآن.

---

(١) سورة ص: ٢٩.

(٢) محمّد: ٢٤.

(٣) لقمان: ١٤.

(٤) الأحقاف، ١٥.

(٥) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج ٥، ص١٤، (سورة الأحقاف: ١٥، ١٦)؛ تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج٢، ص٤٤٥.

ملحوظة: كما أنّ هذا الدليل هو دليل قرآنيّ، كذلك ينفع في الاستدلال على مشروعية التفسير الموضوعيّ من باب السنّة وعمل النبي والأئمّة؛ إذ إنّهم: قد مارسوا الاستنباط من مجموعة من الآيات القرآنيّة.

الثاني: ما مارسه أصحاب الأئمّة من تفسيرٍ موضوعيٍّ لآيات الأحكام وبتقرير المعصوم وإمضائه له. فقد وجد هناك كتابات صدرت من بعض أصحاب الأئمّة نحو كتاب (آيات الأحكام) لمحمّد بن السائب الكلبي، وهو من أصحاب الصادقَين، ولم يردع عنها المعصوم، كما مرّ.

المجموعة الثالثة: وهي آيات العموم والشمول والاستمرارية، تتكوّن هذه المجموعة من عدد كبير من الآيات، إلاّ أنّنا نورد من كل طائفة آية بصفة شاهدٍ يمثّلها:

١- قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾(١)، وهي تدلّ بالمقدار المتيقّن على استيعاب القرآن لجميع موضوعات الحياة وعمومها، وإن كان قد استظهر بعض المفسّرين أنّ القرآن يستوعب كلّ الأشياء كالإمام الغزالي، ولكنّه خلاف التحقيق.

٢- قوله تبارك وتعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾(٢) وهي تدلّ بالمقدار المتيقّن على شمول استيعاب القرآن لجميع موضوعات الحياة كذلك.

٣- قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾(٣)، فالآية تشير إلى أنّ القرآن هو الكتاب المهيمن على جميع الأديان المنسوخة به، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾(٤)، وهذه الآية تدلّ على مصونيّة

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) الحجر: ٩.

القرآن وبقائه إلى الأبد، وبالجمع بينهما نعرف أنّ القرآن هو الكتاب الباقي والمهيمن على الشرائع جمعاء.

فالقرآن هو المرجع للجميع وفي كلّ الأشياء وعلى مرّ العصور، وعلى كلّ البشر الرجوع إليه للحصول على حلول إلهية وحيانيّة معصومة، ولكنّنا نرى أنّ المشاكل المعروضة على القرآن في الأعمّ الأغلب هي عبارة عن مواضيع وحلولها لا يتحصّل في آية واحدة أو في تفسيرها ترتيبياً، بل من خلال جمع الآيات وتفسيرها موضوعياً، وأنّ عموم القرآن وشموليّته وأبديّته تقتضي جواز التفسير الموضوعيّ والعمل به(١).

ثانياً: أدلّة السنّة.

ونشير هنا إلى ثلاثة نماذج من الدليل:

١- ما مارسه النبي أو الأئمّة من استنباط لموضوع فقهيّ من خلال الآيات، وهو تفسير موضوعيّ كما مرّ؛ وهو فعل المعصوم الذي هو من السنّة.

٢- رواية السيد عبد العظيم الحسنيّ.

عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني قال: حدثني أبو جعفر ﷺ قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: (دخل عمرو بن عبيد على أبي عبدالله فلما سلّم وجلس تلا هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾(٢)، ثمّ أمسك فقال له أبو عبدالله: ما أسكتك؟ قال: أحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله عزّ وجل، فقال: نعم، يا عمرو أكبر الكبائر الإشراك بالله، يقول الله: ﴿ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾(٣)، وبعده اليأس من رَوح الله؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾(٤)، ثمّ

(١) يمكن مراجعة (مشروعيّة التفسير الموضوعيّ)، نعيم الساعدي، رسالة دكتوراه في جامعة المصطفى العالمية.

(٢) الشورى: ٣٧.

(٣) المائدة: ٧٢.

(٤) يوسف: ٨٧.

الأمن لمكر الله؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١)، ومنها عقوق الوالدين؛ لأنّ الله سبحانه جعل العاقّ جبّاراً شقيّاً(٢)، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٣)، وقذف المحصنة؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٤)، وأكل مال اليتيم؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(٥)، والفرار من الزحف؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٦)، وأكل الربا؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾(٧)، والسحر؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾(٨)، والزنا؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾(٩)، واليمين الغموس الفاجرة(١٠)؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) الأعراف: ٩٩.

(٢) مريم: ٣٢

(٣) النساء: ٩٣.

(٤) النور: ٢٣.

(٥) النساء: ١٠.

(٦) الأنفال: ١٦.

(٧) البقرة: ٢٧٥.

(٨)البقرة: ١٠٢.

(٩)الفرقان: ٦٨ - ٦٩.

(١٠) آل عمران ٧٧.

﴿يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(١)، والغلول؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(٢)، ومنع الزكاة المفروضة؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾(٣)، وشهادة الزور وكتمان الشهادة؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾(٤)، وشرب الخمر؛ لأنّ الله عزّ وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمّداً أو شيئاً ممّا فرض الله؛ لأنّ رسول الله قال: مَن ترك الصلاة متعمّداً فقد برئ من ذمّة الله وذمّة رسول الله، ونقض العهد، وقطيعة الرحم؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾(٥)، قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك مَن قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم)(٦).

نلحظ أنّ الإمام يقوم بجمع الآيات التي تدور حول موضوع واحد أو مفهوم قرآني، وهو ما ورد في سؤال المستفسر؛ لأنّه أراد أن يقدّم رؤية القرآن الكاملة في الجواب، ولا توجد آية واحدة تجمع أطراف الإجابة وتحوي شجون السؤال، وهذه العملية في البحث عن الجواب باستقصاء آيات القرآن في الموضوع المحدّد إنّما هي التفسير الموضوعيّ في جوهره وكنهه.

ملحوظة: بما أنّها رواية معتبرة ووردت عن ثقات فهي حجّة، كما أنّ ممارسة الأئمّة للتفسير الموضوعيّ بأنفسهم، هو عمل المعصوم، وهو حجّة.

(١) آل عمران: ٧٧.
(٢) آل عمران: ١٦١.
(٣) التوبة: ٣٥.
(٤) البقرة: ٢٨٣.
(٥) الرعد: ٢٥.
(٦) الكليني، الكافي، ج٢، باب الكبائر، ح٢٤.

٣- عن مولى الموحّدين ويعسوب الدين الإمام علي عندما سألوه ﷺ عن لفظ الوحي في كتاب الله تعالى، فقال: (منه وحي النبوّة، ومنه وحي الإلهام، ومنه وحي الإشارة، ومنه وحي أمر، ومنه وحي كذب، ومنه وحي تقدير، - ومنه وحي خبر- ومنه وحي الرسالة. فأما تفسير وحي النبوّة والرسالة، فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾(١).إلى آخر الآية. وأمّا وحي الإلهام، فقوله عزّ وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾(٢) ومثله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾(٣).

وأمّا وحي الإشارة، فقوله عزّ وجل: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(٤) أي أشار إليهم لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾(٥). وأمّا وحي التقدير، فقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾(٦). وأمّا وحي الأمر، فقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾(٧). وأمّا وحي الكذب، فقوله عزّ وجلّ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾(٨). وأمّا وحي الخبر، فقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُوا۟ لَنَا

(١) النساء: ١٦٣.
(٢) النحل: ٦٨.
(٣) القصص: ٧.
(٤) مريم: ١١.
(٥) آل عمران: ٤١.
(٦) فصلت: ١٢.
(٧) المائدة: ١١١.
(٨) الأنعام: ١١٢.

عَـٰبِدِينَ ﴾(١).

نلحظ أنّ الإمام يقوم بجمع الآيات التي تتناول الموضوع الواحد والذي ذكره السائل، لأنّه أراد أن يعرض النظر النهائي العام للقرآن الكريم؛ إذ لا توجد آية واحدة تجمع أطراف الإجابة عن السؤال، وهذه العملية في البحث عن الجواب باستقصاء آيات القرآن في الموضوع المحدّد إنّما هي التفسير الموضوعيّ في جوهره وكنهه.

خلاصة الدرس:

يمكن إثبات مشروعيّة التفسير الموضوعيّ بوساطة نوعين من الأدلّة وهي: النقليّة التي هي القرآن كالآيات الدالّة على التدبّر في القرآن والذامّة لتركه، والسنّة كما في ممارسة النبي ورواية السيد عبد العظيم الحسني.

الأسئلة:

س١ : ما هي أنواع الأدلّة على مشروعية التفسير الموضوعيّ ؟

س٢: قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾(٢)، استدل بهذه الآية على مشروعية التفسير الموضوعيّ.

س٣: أذكر دليلاً من السنّة على جواز التفسير الموضوعيّ.

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) الأنعام: ٣٨.

الدرس السادس: أصول التفسير الموضوعيّ

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: أن يعرف الطالب أصول التفسير الموضوعيّ.

أهداف ثانوية:

١- تقديم تعريف عن أصول التفسير الموضوعيّ.

٢- أن يعرف الطالبُ أصولَ التفسير الترتيبيّ.

٣- أن يعرف الطالبُ المشتركَ من الأصول التفسيريّة.

٤- أن يعرف الطالبُ أقسامَ الأصول التفسيرية وأصنافها.

المحتوى العلمي:

أصول التفسير: اصطلاح استُخدم في علوم القرآن الكريم وهو ليس من الاصطلاحات القديمة، فلم يرد في كتاب (البرهان في علوم القرآن) للزركشي ت٧٩٤ هـ، ولم يرد في كتاب (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطيّ ت٩١١هـ، نعم ذكره ابن تيمية ت٧٢٨هـ[1] كعنوان لكتابه (مقدّمة في أصول التفسير)، لكنّه لم يكن اصطلاحاً مشهوراً بين المتخصّصين في علوم القرآن.

الأصل في اللغة: لهذه المادّة ثلاثة معانٍ عامّة هي: الأساسيّ والقاعدة للشيء، وأوّل الشيء من جهة، وكذلك الأفعى تسمّى بالأصل.

وتعرّف أصول التفسير بأنها عبارة عن: الواقعيات المحكي عنها بالجمل الخبرية المؤثّرة

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدّمة في أصول التفسير، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، بيروت.

في صحّة عملية التفسير والفهم القرآنيّ، والتي تمثّل أساس التفسير الذي لا يمكن للمفسّر الخروج عنه وتجاوزه، تلك الأصول التي قد يطلق عليها أحياناً المباني أو الأسس هي ليست من علم التفسير، بل تعدّ من الأصول الموضوعيّة المفروغ منها، أو التي يسلّم بها المفسّر قبل الدخول بعملية التفسير؛ لذا فهي من مباحث علوم القرآن وإن كانت أدلّة بعضها قرآنية.

وبعبارة أخرى: المراد من أصول التفسير أن يفتّش عن الأسس الواقعية التي يبتني عليها التفسير.

التعريف لأصول التفسير الموضوعيّ: الواقعيات المحكي عنها بالجمل الخبرية المؤثّرة في صحّة عملية انتزاع أو استنباط الرؤية القرآنيّة عن موضوع معيّن.

وتظهر أهمّية أصول التفسير الموضوعيّ إذا عرفنا أنّ صحّة التفسير ودقّته واعتباره أو حجّيته تتوقّف عليها. ومع ملاحظة طبيعة التفسير الموضوعيّ وكيفية استخراج النتائج فيه، تتأكّد هذه الأهمّية وتشتدّ؛ وذلك لقربها من التفسير بالرأي والهرمونيطيقيا، وبسبب تشابهها في موقف المفسّر الإيجابيّ حيث يجري عليه استنطاق للنصّ القرآنيّ متوسّلاً بتجربته البشرية(١).

إنّ أصول التفسير الموضوعيّ هي نفسها أصول التفسير العام (الترتيبيّ أو التجزيئيّ)؛ إذ لا يوجد اختلاف بينه وبين التفسير العام إلاّ في كيفياته العملية وخصوصياته الرؤية، وإنّ العمل فيه هو العمل نفسه في التفسير العام للقرآن الكريم، مع بعض الاختلاف في آليات الاستكشاف(٢).

أقسام أصول التفسير

يمكن تقسيم الأصول إلى قسمين:

الأوّل: الأصول العامّة: وهي الأصول المتسالم عليها عند جميع المفسّرين، مثل: (القرآن

---

(١) أحمد الأزرقيّ، منهج السيد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، ص٣٦٧- ٣٦٨، مع التلخيص.
(٢) مازن التميميّ، أصول وقواعد التفسير الموضوعيّ، ١٩١.

وحيٌ إلهيّ، عدم تحريف القرآن، إمكان تفسير القرآن وجوازه، القرآن كتاب حكيم وغيرها).

الثاني: الأصول الخاصّة: وهي ما اختلف فيها المفسّرون، وهي على أصناف:

١- الأصول الكلاميّة: مثل حجّيّة تفسير الأئمّة وحجّيّة تفسير الصحابة، فقد وقع فيهما الخلاف.

٢- الأصول المنهجية: كالمنهج العقليّ أو التفسير بالرأي، فقد وقع فيهما الخلاف.

٣- الأصول الاتجاهية: مثل الاتجاه الكلاميّ[1] والاتجاه التربويّ.

أصول التفسير الموضوعيّ:

ذكرنا سابقاً أنّ أصول التفسير الموضوعيّ ليست خارجة عن أصول التفسير بأسلوبه العام (الترتيبيّ)، وعليه سنتعرّض لأصول التفسير الموضوعيّ بقسميها:

القسم الأوّل: بعض الأصول المشتركة بين التفسير الموضوعيّ و الترتيبيّ.

ويمكن إدراج أصول التفسير (الأصول العامة) وباختصار كما يأتي:

١- القرآن هو وحي إلهيّ.

٢- القرآن غير قابل للتحريف.

٣- القرآن كتاب حكيم.

٤- إنّ ترتيب المفردات والآيات القرآنيّة هو ترتيب إلهيّ.

٥- يمكن فهم القرآن وتفسيره.

٦- ظواهر القرآن حجّة.

٧- توجد القراءة الصحيحة للقرآن.

---

(١) السيّد رضا مؤدّب، مباني تفسير القرآن، ص٣٧- ٣٩، مع الترجمة والتلخيص.

٨- التفسير حجّة وقد لا يطابق الواقع.

٩- للتأريخ وشأن النزول مدخليّة في تفسير القرآن.

١٠- إنّ القرآن لا ينفصل عن سنّة النبي وأهل البيت :.

١١- للقرآن بطون عدّة.

١٢- للقرآن مستويات متعدّدة من المعنى.

القسم الثاني: الأصول الخاصّة للتفسير الموضوعيّ.

١- وجود الآيات التي تشكّل موضوعاً في القرآن الكريم:

فكثير من الآيات القرآنيّة تمثّل موضوعاً إمّا داخلياً في القرآن الكريم أو خارجياً، فتشمله الآيات لعمومها وشمولها سواء كان أمراً دنيوياً أم أخروياً، دينياً عبادياً أم غير ذلك، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

٢- وجود الرؤى القرآنيّة وإمكان استخراجها:

بما أنّ الهدف النهائيّ لهذا التفسير هو الخروج برأي نهائي للقرآن حول موضوع معيّن[2]، يقول ربّ العزّة في كتابه المجيد: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3]، ولمّا كانت الأداة (كلّ) تدلّ على العموم؛ والرؤى القرآنيّة والنظريات العلمية في مقدّمة ما يحتاج إليه الإنسان في الهداية إلى الكمال، فثبوت وجود الرؤى القرآنيّة وإمكان معرفتها أمر ثابت[4].

(١) النحل: ٨٩.

(٢) محمّد على الرضائيّ الأصفهانيّ، المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص٣١٣.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) مازن التميميّ، أصول وقواعد التفسير الموضوعيّ، ص٢٢٤.

٣- وجود الوحدة الموضوعيّة في القرآن الكريم:

المقصود من الوحدة: صيرورة الاثنين أو الأكثر شيئاً واحداً، والمراد منها هنا: اتّحاد الموضوع الذي ذُكر متفرّقاً في القرآن الكريم بحيث تتركّز معلوماته من تقيّد وإطلاق، وتأليف المختلفات، وتقريب المتباينات، حتى تتبلور صورته وتبرز حقيقته وخلاصة مفهومه، ورؤية القرآن حوله.

فلو أخذنا على سبيل المثال موضوع تحريم شرب الخمر، فإنّنا سنجد أنّ القرآن الكريم قد تناول تحريمها في مواضع شتّى من القرآن الكريم، يمكن استعراضها على شكل مراحل لكي تتبيّن لك وحدة الآيات الموضوعيّة:

المرحلة الأولى: تحريم الإثم والفواحش وأن تقول على الله ما لا تعلم وغيرها، ولم تشر الآية إلى ماهيّة أو مصاديق الإثم الذي حرم، وتلك الآية هي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١).

المرحلة الثانية: تصنيف الخمر في خندق مقابل الرزق الحسن: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢).

المرحلة الثالثة: بيان عقلانيّة الاجتناب عن الخمر وكشف المناط الداعي إلى تركه، وهو الضرر الكبير الذي يفوق النفع الموجود فيها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣).

---

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢)النحل: ٦٧.

(٣) البقرة: ٢١٩.

المرحلة الرابعة: بيان سبب عقلائيّ آخر لترك الخمر بعرض الخلل الاجتماعيّ والأخلاقيّ الناشئ بسببها: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(١).

المرحلة الخامسة: النصّ على منعها أثناء الصلاة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(٢).

المرحلة السادسة: النصّ على التحريم، وأنّها من الرجس ومن عمل الشيطان، ويجب الاجتناب عنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣).

٤- القرآن مواكب لاحتياجات العصر:

فالقرآن آخر الكتب السماوية، وبه تمام الحجّة على البشر، وتمام الحجّة تقتضي مواكبة البشرية وتلبية احتياجاتها، وأهمّ تلك الاحتياجات هي الاحتياجات الفكرية، ومنها معرفة النظريات القرآنيّة، فنحن في المجال التربوي نرى حاجة البشرية إلى نظام تربوي شامل ودائم، ونلحظ أنّ المنهج المميّز للنظام التربوي الإسلاميّ أو الخصائص العامة للتربية الإسلاميّة هي الخلود وعدم التغيير(٤)، وهذا ما يتطلّب دستوراً وكتاباً تربوياً غير متغيّر ولا يقبل التحريف أو التبديل، وهو ما ينطبق على القرآن الكريم.

---

(١) المائدة: ٩١.

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) المائدة: ٩٠.

(٤) انظر، الحسني، سيد نذير، مجلّة (قران وعلم)، مقالة (خصائص المنهج التربوي في القرآن)، العدد٣، ص١٥٤.

وعن يعقوب بن السكيت النحويّ، قال: سألت أبا الحسن علي بن محمّد بن الرضا :: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلّا غضاضة؟ قال: (إنّ الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناسٍ دون ناسٍ، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غضّ إلى يوم القيامة)[1].

كما ورد عن منصور، عن ابن أذينة، عن الفضيل قال: سألت أبا جعفر عن هذه الرواية: (ما من آية إلاّ ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلاّ وله حدّ ومطلع) ما يعني بقوله: (لها ظهر وبطن)؟ قال: (ظهر وبطن، هو تأويلها، منه ما قد مضى، ومنه ما لم يجِئ، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[2] ونحن نعلمه)[3].

فالأصل في القرآن أنّه يلبّي احتياجات البشرية ويواكبها إلى يوم القيامة، وهو ما يُبنى عليه التفسير الموضوعيّ في علاجه للمسائل المستحدثة.

٥- للعلوم البشريّة مدخليّة في تفسير القرآن:

والمقصود بها العلوم القائمة على الحسّ والتجربة مثل العلوم الطبيعية: (كالطب، وعلم النبات، والتربة و...)، والعلوم الاجتماعية: (كالإدارة وعلم الاجتماع و...).

فقد جاء في القرآن الكريم أكثر من ألف وثلاث مئة آية تتحدّث عن أمور كهذه[4]، ممّا يستلزم فهمها وتفسيرها الإحاطة بالنتائج التي توصّلت إليها تلك العلوم؛ إذ عدم القيام ذلك قد يتسبّب في انزلاق قدم المفسّر أثناء تفسيره.

والعلوم التجريبية إمّا تدخل في بيان حقيقة الموضوع أو السؤال، أو في مجال تعميق الفهم البشري للنصّ القرآنيّ، أو من باب الاستدلال عليه بالعلوم القطعيّة والمسلّمة.

---

(١) الطوسيّ، الأمالي، ص٥٨١.

(٢) آل عمران: ٧ .

(٣) المجلسيّ، بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٩٧.

(٤) بعض الكتب أحصت عدد الآيات العلمية إلى ١٣٢٢.

خلاصة الدرس:

• يُعرّف الأصل التفسيريّ بأنّه الأسس الواقعية التي يُبتنى عليها التفسير.

• وتعرّف أصول التفسير الموضوعيّ بأنّها الواقعيات المحكي عنها بالجمل الخبرية المؤثّرة في صحّة عملية استنباط الرؤية القرآنيّة عن موضوع معيّن.

• وهناك أصول مشتركة مع التفسير الترتيبيّ وأخرى خاصّة، وأهمّ أصول التفسير الموضوعيّ هي: (توجد آيات تشكل موضوعاً في القرآن، توجد رؤى قرآنية، وجود الوحدة الموضوعيّة في القرآن، القرآن مواكب لاحتياجات العصر، للعلوم البشرية مدخلية في تفسير القرآن).

الأسئلة:

س١: عرّف أصول التفسير، مع الشرح.

س٢: عرّف أصول التفسير الموضوعيّ، مع الشرح.

س٣: عدد خمسةً من الأصول العامة المشتركة للتفسير.

س٤: عدد خمسةً من أصول التفسير الموضوعيّ مع شرحٍ لأحدها.

س٥: كيف استُدلّ بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾(١) على وجود الرؤى القرآنيّة وإمكان استخراجها؟

س٦: ناقش وحلّل هذه العبارة: (إنّ العمل في التفسير الموضوعيّ هو العمل نفسه في التفسير العام للقرآن الكريم، مع بعض الاختلاف في آليات الاستكشاف).

(١) النحل: ٨٩.

الدرس السابع: قواعد التفسير الموضوعيّ

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: أنّ يعرف الطالبُ قواعدَ التفسير الموضوعيّ.

أهداف ثانوية:

١- أنّ يعرف قواعدَ التفسير.

٢- أنّ يعرف قواعدَ التفسير الموضوعيّ.

٣- بيان أقسام القواعد والمشترك منها والمختصّ.

المحتوى العلمي:

لابدّ لنا في البداية من التعرّض إلى تعريف قواعد التفسير، وبعد ذلك نتطرّق إلى عرض تعريف القواعد الخاصّة بالتفسير الموضوعيّ وعرض نماذج منها.

تعرّف قواعد التفسير بأنّها القوانين الكلّية التي تُجعَل واسطةً في الاستنباط من آيات القرآن الكريم، ولا تكون خاصّة بآية أو سورة معيّنة [1]. فهي بعبارة أخرى: الأحكام الكلّيّة التي يتوصّل بها إلى استنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الإفادة منه.

ويمكن التفريق بين القاعدة والأصل بأنّ الأصول هي: عبارة عمّا هو موجود فيراعى ويلحظ وجوده في عملية التفسير، على حين القاعدة عبارة عما يجب أن يفعل فيراعى تفعيلها عند التفسير.

مثال للأصل: القرآن وحي إلهي: أي إنّ نسبة الوحيانية ثابتة للقرآن، موجودة.

---

(١) محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ، منطق تفسير (١) أصول وقواعد التفسير، ص٣١٣.

مثال للقاعدة: قاعدة السياق: أي يجب مراعاة السياق القرآنيّ عند تفسير الآية.

مثال تفصيلي: عندما نريد الإفادة من قاعدة (إرجاع المتشابهات إلى المحكمات) لغرض فهم آيات القرآن، أي يجب علينا مراعاة هذه القاعدة ويجب العمل بها، وهذه القاعدة مجعولة على أساس الدليل والحدّ الأوسط للآية السابعة من سورة آل عمران: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(1).

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾(2) من المتشابهات، وبالرجوع إلى آية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ ﴾(3) يتّضح المعنى، وهو: أنّ المقصود (باليد) ليس اليد الجسمانية، بل القدرة(4).

وبعبارة أخرى، فإنّ شكل القياس يكون - بالتقريب - كما يأتي:

الكبرى: كل آية متشابهة ترجع إلى آية محكمة.

الصغرى: قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ آية متشابهة.

النتيجة: وبعد حذف الحدّ الوسط والذي هو (آية متشابهة) ينتج: وجوب رجوع تفسير ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ إلى آية محكمة وهي هنا ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ ﴾، لننتهي بأنّ المراد من اليد ليس الجارحة العرفية.

(١) آل عمران: ٧.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ، منطق تفسير (١)، أصول وقواعد التفسير، ص٣١٣.

تعريف قواعد التفسير الموضوعيّ:

هي القوانين الكلية التي تُجعَل واسطة في استنباط الأحكام الكلية في الموضوع الواحد من مجموع آياته في عموم القرآن الكريم[1].

أهمّية القواعد التفسيريّة:

تتلخّص أهمّية القواعد التفسيرية في أمرين مهمّين هما:

١- إيجاد ضمانة تبعد المفسّر عن التفسير بالرأي.

٢- تحويل نتائج التفسير الخاطئة إلى الصواب وتقليل الأخطاء التفسيرية[2].

وتنقسم القواعد التفسيرية إلى قسمين:

الأوّل: القواعد المشتركة بين التفسير وعلوم أخرى؛ مثل: قواعد أصول الفقه، اللغة، علوم القرآن، و... التي تُستعمل في التفسير.

الثاني: القواعد الخاصّة بالتفسير؛ مثل: المنع من استعمال الإسرائيليات في التفسير، وأمثالها[3].

ثمّ إنّ قواعد التفسير الموضوعيّ تنقسم إلى قسمين؛ هما:

أوّلاً: القواعد العامة للتفسير الموضوعيّ: وهي القواعد التي تشترك بين التفسير الموضوعيّ و الترتيبيّ، فتكون صالحة للتطبيق في التفسيرين كليهما، ويمكن الاعتماد عليها والاستنباط بها في التفسير عموماً، وهذه القواعد هي على النحو الآتي:

١- قاعدة لزوم رعاية أصول المحاورة العقلائيّة.

٢- قاعدة الجري والتطبيق.

---

(١) مازن التميميّ، أصول وقواعد التفسير الموضوعيّ، ص٢٥٨.

(٢) مازن التميميّ، أصول وقواعد التفسير الموضوعيّ، ص٢٦٦.

(٣) محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ، منطق تفسير (١) أصول وقواعد التفسير، ص٢٣٣.

٣- قاعدة السياق.

ثانياً: القواعد المختصّة بالتفسير الموضوعيّ[1]: وهي القواعد التي لا تشترك بين التفسير الموضوعيّ و الترتيبيّ، ولا تكون فعّالة ومستخدمة في الأسلوبين كليهما، بل في التفسير الموضوعيّ فقط، أي نلحظها في حالة سعي المفسّر إلى استنباط الرؤية الجامعة العامّة للقرآن الكريم ومحاولة معرفة رؤية القرآن الكريم عن موضوع ما.

القاعدة الأولى: رعاية ما يلزم في منهج تفسير القرآن بالقرآن.

فعندما نفسّر القرآن بالقرآن نستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبّر المندوب إليه في القرآن نفسه، ونشخّص المصاديق ونتعرّفها بالخواصّ التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2].

وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه، وقال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[3][4].

ويلزم في منهج تفسير القرآن بالقرآن إرجاع المتشابهات إلى المحكمات، حمل الآيات المطلقة على المقيّدة، والعامة على الخاصّة، توضيح الآيات المجملة بالمبيّنة والمفصّلة، تعيين مصداق الآية بوساطة الآيات الأُخرى، والإفادة من السياق في التفسير، والالتفات إلى الآيات المتشابهة، والالتفات إلى الآيات المخالفة ورفع الاختلاف الظاهري بينهما، وتحديد معاني الاصطلاحات القرآنيّة بالآيات الأُخرى، وترجيح أحد الاحتمالات بوساطة آيات أُخرى، والجمع بين الآيات الناسخة والمنسوخة[5].

---

(١) مازن التميميّ، أصول وقواعد التفسير الموضوعيّ، ص٢٧١.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) محمّد حسين الطباطبائيّ، الميزان، ج١، ص١١.

(٥) محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ، دروس في المناهج والاتجاهات، ص٦١- ٦٨.

فعلى المفسّر الموضوعيّ في مرحلة تفسير الآيات القرآنيّة ذات العلاقة بالموضوع الواحد بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، مراعاة كلّ ما ذُكر من أمور تفسيريّة في هذا المنهج للوصول إلى النتائج الواضحة التي تسهم في حصول النتيجة النهائية[1].

القاعدة الثانية: يجب مراعاة عملية التفسير الترتيبيّ ونتائجه.

يستلزم التفسير الموضوعيّ فهم المفسّر لطريقة العمل في هذا النوع من التفسير، و هي التي تتألّف من ثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة استخراج المداليل الجزئية من الآيات ذات العلاقة بالموضوع آية فآية، ومرحلة استخراج المداليل الكلية من مجموع المداليل الجزئية في الآيات المشتركة في جانب من جوانب الموضوع الأصلي، ومرحلة استخراج الرؤية بجمع المداليل في المرحلة الثانية لتكوين رؤية قرآنية كلّية، ثمّ الخروج بالرؤية القرآنيّة عن الموضوع الواحد المعيّن[2].

فلابدّ للمفسّر من تعرّف دلالات الآيات أوّلاً، والاطّلاع على دورة في التفسير الترتيبيّ[3]؛ حتى يكون لديه هيمنة نسبية على التفسير، ثمّ يقوم بالخطوة الثانية وهي التفسير الموضوعيّ[4].

أي إنّ التفسير التجزيئيّ - الترتيبيّ - هو بمنزلة المقدّمة اللازمة من دون انفكاك للتفسير الموضوعيّ؛ لذا قيل: إنّ المسألة هنا مسألة ضمّ الاتجاه الموضوعيّ في التفسير إلى الاتجاه التجزيئيّ، بمعنى افتراض خطوتين هما: خطوة التفسير التجزيئيّ، وخطوة أخرى هي خطوة التفسير الموضوعيّ[5].

وعندها يجب العناية والرعاية لجميع مجالات التفسير الترتيبيّ.

---

(١) مازن التميميّ، أصول وقواعد التفسير الموضوعيّ، ص٣١٢.

(٢) المصدر السابق، ص٣١٦.

(٣) يمكن الاكتفاء بأقوال المفسرين في الآيات التي تتعرض للموضوع المراد بحثه، (الناشر).

(٤) محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ، دروس في المناهج والاتجاهات، ص٣١٥.

(٥) السيّد محمّد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة، ص٣٣.

القاعدة الثالثة: يجب مراعاة الاستقصاء التام للآيات الخاصّة بالموضوع.

إنّ عدم رعاية هذه القاعدة أو الاستقراء التام للآيات الخاصّة بالموضوع، إنّما يؤدّي إلى عدم الحصول على الرؤية الكاملة للقرآن ولا الرؤية النهائية له، وستكون الرؤية ناقصة والتفسير غير صحيح، والحل المقدّم من القرآن لا يمكن نسبته إلى القرآن؛ ونقصد بالاستقراء التام: ما يشمل الآتي:

١- ملاحظة جميع المفردات النصّية في القرآن الخاصّة بالموضوع (عين الألفاظ الخاصّة بالموضوع).

٢- ملاحظة جميع المفردات الدالّة ولو بالظهور على الموضوع.

٣- ملاحظة جميع الآيات التي تشمل المفردة القرآنيّة (نصّاً أو ظهوراً)، واستعمالها في حالة الإثبات.

٤- ملاحظة جميع الآيات التي تشمل المفردة القرآنيّة (نصّاً أو ظهوراً)، واستعمالها في حالة النفي والاستفهام وغيرها من حالات الإنشاء.

٥- ملاحظة جميع الآيات التي تشمل مشتقّات المفردة الواردة في صيغة الأفعال (نصّاً أو ظهوراً).

٦- ملاحظة جميع الروايات الداخلة في تفسير الآيات (السنّة المفسّرة للآيات).

القاعدة الرابعة: مراعاة الوجوه والنظائر القرآنيّة.

يعدّ علم الوجوه والنظائر أحد أشكال التفسير للقرآن الكريم، حيث يعتمد الدقّة والمقارنة بين الألفاظ المتكرّرة في القرآن آخذاً بالاعتبار الجهات المؤثّرة في تفسير كل آية على حِدة، فهو يدرس الألفاظ المتكرّرة والتي اختلفت معانيها من آية إلى أخرى بحسب الموقع القرآنيّ، فهو يشبه المشترك اللفظي[1]؛ فليس كل لفظ تكرّر في القرآن تكرّر وهو يحمل المعنى

(١) هاشم أبو خمسين، الوجوه والنظائر ودورها في تفسير القرآن، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى العالمية.

نفسه، بل قد يتغيّر معناه.

وتعرّف الوجوه بأنها: هي المعاني المتعدّدة للفظ واحد قد تكرّر في القرآن مرّات عدة بنفسه وهيئته، أو بهيئة مقاربة ومشابهة للّفظ الأصليّ(١).

وتعرّف النظائر بأنها: هي كلّ كلمة ذُكرت في موضع وذُكر نظيرها في موضع آخر(٢).

فالمفردة القرآنيّة التي تكرّرت قد يرافق تكرّرها تعدّداً للمعنى وتغيّراً كلّياً أو جزئياً فيه، والمفردة القرآنيّة تشمل الاسم، والفعل، والحرف، فقد يكون هناك حرف قد تكرّر وتغيّر المعنى الذي يحمله بين جنبيه إلى معنًى آخر متأثراً بالسياق القرآنيّ، أو القرينة الكلاميّة، أو بأحد وسائل تحديد المعنى، وحينئذٍ قد يكون هناك فعل تكرّر في القرآن بالطريقة نفسها، فيكون الحرف والفعل والاسم مشمولين بالوجوه، وهي - أي المفردة القرآنيّة بكل مصاديقها- موضوع لهذا العلم.

المثال الأوّل:

من كتاب هارون بن موسى (ت٢٩٢ هـ): تفسير الماء على ثلاثة وجوه:

الوجه الأوّل: الماء يعني المطر، فذلك قوله عزّ وجل: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾(٣)، يعني المطر...

الوجه الثاني: الماء يعني النطفة، فذلك قوله عزّ وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾(٤). يعني النطفة...

الوجه الثالث: الماء يعني القرآن، فذلك قوله عزّ وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾(٥)،

---

(١) هاشم أبو خمسين، الوجوه والنظائر ودورها في تفسير القرآن، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى العالمية.

(٢) محمّد الدامغانيّ، الوجوه والنظائر، ص١٧.

(٣) الحجر: ٢٢.

(٤) الفرقان: ٥٤.

(٥) النحل: ٦٥.

يعني: القرآن؛ وهو مثلٌ ضربه الله عزّ وجل، ثُمّ إنّ الماء حياة الأنفس، فالقرآن حياة لمن آمن به[1].

المثال الثاني:

أمثلة الوجوه:

نحن عند عرض هذه الأمثلة نقصد منها التوضيح، وليس على التحقيق أو بالضرورة أن تكون النتيجة صحيحة أو مجمع على صحّتها.

فمثلاً لفظ (أمّة) جاء في القرآن الكريم على وجوه كثيرة منها:

١- بمعنى العُصبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[2]، يعني عصبة، أي مجموعة مسلمة[3].

٢- بمعنى مدّة، وسنين، وزمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[4]، أي بعد مدّة من الزمن[5].

٣- بمعنى الملّة الواحدة، كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[6]، فهنا جاء لفظ (أمّة) بمعنى الملّة أو الدين الواحد[7].

---

(١) الوجوه والنظائر، هارون بن موسى (ت٢٩٢ هـ)، ص١٧٩.

(٢) البقرة: ١٢٨.

(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج١، ص١٧٢، المعين، المولى نور الدين الكاشاني، ج١، ص٧١، مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري، ج١، ص٣١١، مواهب الرحمن، عبد الأعلى السبزواري، ج٢، ص٤٢.

(٤) هود: ٨.

(٥) التبيان، الطوسيّ، ج٥، ص٥٤٢، الميزان، الطباطبائيّ، ج١٠، ص١٥٩، الأمثل، مكارم الشيرازيّ، ج٦، ص٤٤٤، الكاشف/ محمّد جواد مغنية، ج١، ص٣١٦.

(٦) البقرة، ٢١٣.

(٧) التبيان، الطوسيّ، ج٢، ص١٩٣، مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص٣٠٦، مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري،

إذاً للفظ (أمّة) بحسب المثال المذكور ثلاثة وجوه في القرآن؛ هي: الأوّل: الجماعة والعصبة، والثاني: المدّة الزمنية، والثالث: الملّة أو الدين والاعتقاد؛ هذه هي الوجوه للفظ (أمّة) بحسب مثالنا البسيط، وإلّا قد توجد وجوه أكثر لهذا اللفظ في القرآن الكريم[1].

وعليه، سيكون تجاهل هذه القاعدة سبباً في الإخفاق في التفسير الموضوعيّ.

مجموعة من قواعد التفسير الموضوعيّ:

١- يجب مراعاة خصائص القرآن: (المجازات، التمثيل، أسباب النزول، الحفظ من التناقض، عدم التحريف، عدم تعارضه مع العلم القطعي).

٢- يجب مراعاة الالتزام التام بعناصر القرآن الكريم: (الأهداف القرآنيّة، القصّة، الشريعة، التدبّر والتفكّر...).

٣- يجب مراعاة التركيز في الأبعاد الواقعية للموضوع.

٤- يجب مراعاة التزوّد بالعلم والثقافة المعاصرة.

٥- يجب أن يكون دخول التفسير الموضوعيّ من دون مقرّرات ومعتقدات سابقة.

٦- يجب مراعاة الحياديّة في البحث القرآنيّ الموضوعيّ، بحيث تكون الآيات هي التي تقود البحث للنتائج.

٧- يجب مراعاة الاعتماد على نتائج التفسير الترتيبيّ.

٨- يجب مراعاة اختبار نتائج التفسير الموضوعيّ ومقارنتها مع الواقع الخارجيّ؛ للحصول على الفائدة.

٩- يجب ربط عناصر الموضوع ومتعلّقاته على وفق (هيكليّة قرآنيّة) تقتضيها طبيعة

ج٢، ص٥٠، الجديد، الشيخ محمّد السبزواري، ج١، ص٢٥١، الكاشف، محمّد جواد مغنية، ج١، ص٣١٦.

(١) هاشم أبو خمسين، الوجوه والنظائر ودورها في تفسير القرآن، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى العالمية.

الموضوع ومتعلّقاته في القرآن.

خلاصة الدرس:

• تعرّف قواعد التفسير بأنّها: القوانين الكلية التي تُستعمل في الاستنباط من آيات القرآن الكريم، ولا تكون خاصّة بآية أو سورة معيّنة.

• تعرّف قواعد التفسير الموضوعيّ بأنّها: القوانين الكلية التي تُجعَل وساطة في استنباط الأحكام الكليّة في الموضوع الواحد من مجموع آياته في عموم القرآن الكريم.

• من أهمّ قواعد التفسير الموضوعيّ: (رعاية ما يلزم في منهج تفسير القرآن بالقرآن، ويجب مراعاة عملية التفسير الترتيبيّ ونتائجه، ويجب مراعاة الاستقصاء التام للآيات الخاصّة بالموضوع، مراعاة الوجوه والنظائر القرآنيّة).

الأسئلة:

س١: عرّف القواعد التفسيرية وأعطِ مثالاً لها.

س٢: عرّف قواعد التفسير الموضوعيّ وبيّن أقسامها.

س٣: ما هي أهمّية قواعد التفسير؟

س٤: أذكر أربع قواعد للتفسير الموضوعيّ مع شرح واحدة منها.

س٥: ما المقصود من الاستقصاء التام للآيات القرآنيّة الخاصّة بموضوع محدّد في أثناء عملية التفسير؟

س٦: ميّز بين الوجوه والنظائر مبيّناً دورها في التفسير الموضوعيّ.

الدرس الثامن: أقسام التفسير الموضوعيّ وأشكاله

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: توضيح أقسام التفسير الموضوعيّ وتوضيح أشكاله.

أهداف ثانويّة:

١- الاطّلاع على أسس التقسيم.

٢- الاطّلاع على تعريف القسم والشكل في التفسير الموضوعيّ.

٣- تعرّف التفسير البينيّ (ذي التخصّصين).

المحتوى العلمي:

تمهيد:

نحاول في هذا الدرس التعرّض إلى عنصرين من عناصر نظام التفسير الموضوعيّ؛ وهما: أقسام التفسير أوّلاً، ثمّ أشكال التفسير الموضوعيّ ثانياً، محاولين بيان التعريفات اللازمة والفروع الخاصّة بها، وكلّ ذلك لتتّضح معالم منظومة التفسير الموضوعيّ أكثر حين الوقوف على تفصيلاته الجزئية من قريب.

أوّلاً: أقسام التفسير الموضوعيّ.

يعرّف القسم في التفسير الموضوعيّ: بأنّه تحديد الموضوع المختار للتفسير وحدود دائرة البحث فيه أو سعتها، ويتمّ تقسيم التفسير الموضوعيّ على أسس متنوّعة، وإليكم أهمّ تلك الأسس للتقسيم والتقسيمات المتولّدة عنها:

الأوّل: جرت القسمة فيه على أساس وجود الموضوع ومنشئه[1]، وينقسم إمّا إلى تفسير

---

(١) محمّد هادي معرفة، التفسير والمفسّرون، ج٢، ص١٠٤٢.

موضوعيّ داخليّ، أي يكون الموضوع من داخل القرآن ومن النصّ القرآنيّ، وإمّا إلى تفسير موضوعيّ خارجيّ، إذ يكون فيه الموضوع خارج النصّ القرآنيّ.

الثاني: جرت القسمة فيه على أساس عدد الموضوعات التي تناولها البحث الموضوعيّ(١)، وينقسم إلى تفسير اتحاديّ، أي يبحث موضوعاً واحداً فقط مثل: (التقوى في القرآن)، وتفسير ارتباطيّ، وهو ما يتناول موضوعين أو أكثر مثل: (الذنوب والفقر في القرآن)، أو (الذنوب والموت في القرآن)، وذلك بأن يُدرَس الموضوعان ثمّ يسلّط البحث عن اكتشاف العلاقة بينهما، أي: هل هناك علاقة ما بين الفقر والذنوب في الرؤية القرآنيّة؟ وهل الذنوب عامل من عوامل الفقر؟ وهكذا دواليك؛ وقد يطلق عليه (التفسير الموضوعيّ المقارن)(٢).

الثالث: ينقسم أيضاً على أساس سعة دائرة البحث في التفسير الموضوعيّ؛ إذ تتنوّع سعة التفسير الموضوعيّ من حيث حدوده بحجم الموضوع المختار إلى أربعة أنواع على النحو الآتي:

١- قد تكون سعة البحث في التفسير الموضوعيّ يتناول القرآن كلّه بصفة وحدة واحدة.

٢- قد تكون سعة البحث في التفسير الموضوعيّ تتناول سورة بعينها، ومثاله التفاسير الحديثة كما جاء في التفسير البنائيّ للدكتور محمود البستانيّ، ولاسيّما في كتابه (في عمارة السورة القرآنيّة).

٣- قد تكون سعة البحث في التفسير الموضوعيّ تتناول موضوعاً من السورة أو القرآن، كما هو الحال في التفسير الموضوعيّ الفقهيّ أو ما يطلق عليه الاتّجاه الفقهيّ في التفسير، وهو ما يسمّى بتفسير آيات الأحكام.

٤- قد تكون سعة البحث في التفسير الموضوعيّ تتناول كلمة في سورة أو في سور القرآن

---

(١) حسين علوي مهر، روش ها وگرايشاهاي تفسيري، ص٢٦.

(٢) آية الله الشيخ محمد باقر الناصري، التفسير الموضوعي المقارن للقرآن الكريم. ١/ المقدمة.

كلّه، وهو ما اعتنى به علم الوجوه والنظائر والكتب المدوّنة فيه أو المدوّنة تحت عنوان الأشباه والنظائر، وكذلك علم المفردات نحو مفردات الراغب الأصفهانيّ، وغيرها.

الرابع: كما قد يقسّم بحسب شمولية التفسير للمواضيع القرآنيّة وجامعيّتها:

١- التفسير الموضوعيّ غير الجامع: وذلك عندما تدفعنا الحاجة إلى تناول موضوع خاصّ بالبحث والتفسير لمعرفة النظرة القرآنيّة عنه، فنفسّر الآيات المرتبطة بالموضوع من دون ملاحظة النَّظم القرآنيّ المنطقيّ الداخليّ، أو من دون ملاحظة النظم العام المنطقيّ القرآنيّ للموضوعات؛ وهذا القسم يتمتّع بقِدم واضح ولاسيّما في تفسير آيات الأحكام.

٢- التفسير الموضوعيّ الجامع: والمراد منه هو: أن تصنّف جميع آيات القرآن الكريم تبعاً للمواضيع العامة والجزئيّة ثمّ تخضع للتفسير والبحث، مع مراعاة النظم القرآنيّ العام وتموقع آياته والنتائج التفسيريّة للموضوعات الأخرى، فتكون مسيرة عامّة لتفسير جميع المواضيع على وفق نظم وترتيب معيّن وتفاعلي - أي يؤثّر أحد المواضيع في تفسير الآخر - في آنٍ واحد، ونرى المفسّرين ينظّمون ويرتّبون المواضيع كلّ مفسّر على أساس معيّن، وهذا الأخير هو ما يسمّى بأسلوب التفسير الموضوعيّ.

ثانياً: أشكال التفسير الموضوعيّ.

المراد من الشكل في التفسير الموضوعيّ هو: بيان حال العلاقة بين وحدات الموضوع المفسّر موضوعيّاً وكيفيّته، فيكون التشكيل على أساس كشف العلاقة بين وحدات الموضوع ونوعية الرابطة بينهما (أ يوجد تأثير بينهما أم لا)، والمقصود من وحدات الموضوع: هو أجزاء العنوان المبحوث عنه في التفسير الموضوعيّ، وهذه بعض الأمثلة:

١- الموت بين القرآن والطبّ: يتكوّن من وحدتين؛ هما: (الموت في القرآن) و(الموت في الطب)، ويريد البحث هنا أن يكتشف نقاط الاشتراك في العامل المشترك - الموت - بين القرآن والطبّ فحسّب، ولا يبحث عن نوعية العلاقة بينهما، والوظيفة لشكل كهذا هي

المقارنة فقط، فهو تفسير موضوعيّ مقارن، والمقارنة قد تكون بين القرآن وعلم، أو بين القرآن والتوراة في موضوع معيّن، أو بين المدارس القرآنيّة الإسلاميّة في موضوع معيّن.

٢- التقوى والعمل الصالح في القرآن: يتكوّن من وحدتين؛ هما: (التقوى) و(العمل الصالح)، ولا نعلم علاقة التأثّر والتأثير بينهما، فالتقوى تؤثّر في العمل الصالح؟ أم العمل الصالح يؤثّر في التقوى؟ والتأثير طرديّ أم عكسيّ؟

٣- التقوى والرزق والعمل الصالح في القرآن: يتكوّن من ثلاث وحدات؛ هي: (التقوى) و(الرزق) و(العمل الصالح)، ولا نعلم علاقة التأثّر والتأثير بينهما، فالتقوى تؤثّر في الرزق، أم العكس، أم كلاهما يؤثّران في العمل الصالح؟ والتأثير طرديّ أم عكسيّ؟

٤- علم التربية القرآنيّة: وهنا نجد أنّنا نحتاج إلى متخصّص في علم التربية ومتخصّص في القرآن - ولا يشترط الاثنينيّة الحقيقية - ليستطيع أن يكتشف لنا معالم علم التربية القرآنيّة، وستكون نتيجة هذا البحث هي خلاصة النظر النهائيّ للعالم التربوي والمفسّر القرآنيّ بنحوٍ اندماجيّ، وهو ما يعبّر عنه بالعلوم البينية التخصّصية، حالها حال الفيزياء النوويّة، أو الكيمياء العضويّة، أو علم النفس التربويّ.

٥- التقوى في القرآن: وهو أيسر الأمثلة، وفيها يكون الموضوع مكوّناً من جزء واحد فقط، وعليه فلا علاقة في البين بين الوحدات فهي سالبة بانتفاء الموضوع.

مثال (١): ولو أردنا أن نعرض مثالاً ثانياً على أشكال التفسير الموضوعيّ في المجال الطبّي فأنّها ستكون على النحو الآتي:

١- التفسير الموضوعيّ الداخليّ للقرآن (جمع آيات القرآن في مجال موضوع من الطب وشرحها).

٢- التفسير الموضوعيّ المقارن (بين القرآن والطبّ).

٣- التفسير التخصّصيّ البينيّ للقرآن والطبّ.

مثال (٢): ولو أردنا أن نعرض مثالاً ثالثاً على أشكال التفسير الموضوعيّ في المجال الفلكيّ فإنّها ستكون على النحو الآتي:

١- التفسير الموضوعيّ الداخليّ للقرآن (جمع آيات القرآن في مجال موضوع من الفلك وشرحها).

٢- التفسير الموضوعيّ المقارن (بين القرآن والفلك).

٣-- التفسير التخصّصي البيني للقرآن والفلك.

التفسير البيني (ذو التخصّصين):

كلّما كان ارتباط العلوم وتعاونها أكثر فهو يوجب طرح مسائل ومواضيع تدفع الفرد إلى الدراسة أكثر في التخصّصين، أو تحفّز المتخصّصين في العلوم المختلفة إلى البحث في موضوع واحد، وإنّ إيجاد فروع جديدة في العلم هو من نتائج هذه الدراسات.

ومثال على ذلك: تكوّنت في العقود الأخيرة مجموعة من العلوم وأصبحت لها هوية مستقلّة من قبيل:

علم النفس الاجتماعيّ، علم النفس التربويّ، الاقتصاد السياسيّ، الكهرباء الكيميائية، الفيزياء النووية، وغيرها.

ونحن في موضوع القرآن والعلم يمكن تصوّر هذه المراحل الخمس أيضاً على النحو الآتي:

أ- موضوع ذو التخصّصين: مثل (الشمس) في القرآن، وعلم الفلك أو خلق الإنسان، من وجهة نظر القرآن وعلم البيئة و...

ب - تعاون تخصّصين: ففي موضوعات من قبيل أثر الحجاب والصلاة في الصحّة النفسية، فهو يتطلّب تعاوناً من لدن متخصّصي القرآن، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس، وفي

موضوعات علم الآثار مثل: غار أصحاب الكهف وسفينة نوح، الذي يتطلّب تعاوناً من لدن المفسّرين وعلماء الآثار.

ج - **المنهج ذو التخصّصين**: أحياناً ومن أجل البحث في بعض المواضيع ذات التخصّصين نحتاج إلى منهج ذي تخصّصين، كما في موضوع أثر قراءة القرآن في هدوء الأعصاب والصحّة النفسية، وكذلك في التقليل من آلام المرض، فعلاوة على التعاون التخصّصي، نحتاج إلى منهج بحثيّ جديد وهو البيني ذو تخصّصين؛ لِنَفِيدَ من أساليب علم النفس والطب في طرق قراءة القرآن.

د- **البحث ذو التخصّصين**: الذي يمكن تطبيقه في مجالات تفسيرية تخصّصية مثل: التفسير التربويّ، التفسير الاقتصاديّ، التفسير الطبّيّ، التفسير النجوميّ، التفسير التاريخيّ، التفسير الحقوقيّ، التفسير الإداريّ، التفسير الاجتماعيّ، التفسير النفسيّ؛ لأنّ هذه المواضيع لها تخصّصان، وتتطلّب تعاوناً تخصّصياً، وتحتاج أيضاً إلى دراسة وبحث بيني ذي تخصّصين، كي يتمّ شرح كلّ مجموعة من الآيات من لدن متخصّصين في مجالين أو متخصّص في علمين، وعادة ما يثمر هذا النوع من البحث عن إفراز علم جديد؛ لأنّ أهداف هذه العلوم ومبانيها عندما تكون تحت تأثير التعاليم القرآنيّة فإنّها تتخذ منحًى وشكلاً جديدين.

هـ - **العلم ذو التخصّصين الكليّ**: القرآن الكريم يستوعب كلّ أبعاد الحياة البشريّة أعمّ من الأبعاد المعنويّة، والأخلاقيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة، وهذا الأمر استوجب أن يطرح في القرآن الموضوع ذو التخصّصين بكثرة، وذلك يتطلّب تعاون ذي تخصّصين وبحث ذي تخصّصين، ومن الطبيعيّ أن يفرز ذلك علوماً جديدة ذات تخصّصين، وهي ما تسمّى العلوم البينية التي تولد نتيجة اندماج بعض العلوم ببعضها.

فالتفسير البينيّ: هو اتجاه تفسيريّ قرآنيّ يمثّل ولادة علم جديد نتيجة اندماج علمين قائمين (أحدهما من العلوم البشرية، والآخر هو علم التفسير)، ولعلّ من أمثلته التفسير التربويّ للقرآن الكريم.

فإنّنا نلحظ تزاوجاً علميّاً بين التفسير من جهة وعلم التربية من جهة أخرى لإنتاج علم جديد بينيّ (أي ما بين التفسير والتربية)، وهو التفسير التربوي الذي تضاف فيه خبرة التربويّ والمفسّر إلى دراسة القرآن؛ ولاسيّما في المواضيع المشتركة، وهو - في بعض الحالات - سيكون تفسيراً موضوعيّاً علميّاً للقرآن الكريم.

يقوم هذا العلم بتسخير خبراته البينيّة الناتجة عن مصاهرة الخبرة التربويّة مع المعطى القرآنيّة، لدراسة القرآن الكريم دراسةً جديدة وموضوعيّة، ومن مميّزات هذا الوليد الجديد -أي التفسير التربوي للقرآن الكريم - هي:

١- إنّ هذا المنحى من التفسير يحتاج إلى العالم التربويّ، وقد قلّ مَن درس علم التربية أكاديميّاً بنحوٍ جامع لكي يخوض فيه، حاله حال التفسير الأدبيّ الذي لا يمكن تحقّقه من دون وجود الأديب؛ فهذا التفسير لا يمكن تحقّقه من دون وجود العالم التربويّ.

٢- ينماز بشرح النكات التربويّة والأخلاقيّة والعرفانيّة.

٣- الاهتمام ببيان العمق التربويّ المعجِز، وذلك بالكشف عن كيفية تربية الله تبارك وتعالى للإنسان، وهو الأعرف بمخلوقه وبفطرته وطاقاته.

٤- بيان توظيف الألفاظ العربية في صور جماليّة أو جلاليّة لصنع التأثير التربويّ.

٥- ينماز بمقوّمات تربية الفرد، والمجتمع، والأمّة، والعالم، وإيضاحها من العناصر والمشتركات والأساليب.

٦- الاهتمام بالأساليب التربوية وطرقها والأدوات والمباني والأصول والفلسفات، وسياسة الإقناع التعقّلي في إيجاد العملية التربويّة والأثر التربويّ.

٧- الوقوف عند الأساليب التربوية الرقيقة، والشديدة، والأحكام، والإرشادات، والقصّة، والترغيب، والترهيب، وغيرها.

٨- بيان أنواع الأبعاد التربوية؛ ولاسيّما المهمّ منها؛ سواء كانت العلمية، أم الجهادية، أم المعنوية، أم البدنية، وغيرها.

٩- لابد من أن يكون متميّزاً بالموضوعيّة والواقعية، ومتعايشاً مع الحياة اليوميّة، أو متميّزاً بجنبة التفسير التربويّ في حلّ المشاكل التربوية التي يعرضها العالم، أو في اكتشاف الجواب الشافي، أو في معرفة وجهة النظر القرآنيّة عن أركان النظام التربويّ الإسلاميّ ومكوناته[1].

خلاصة الدرس:

• يعرّف القسم في التفسير الموضوعيّ: بأنّه تحديد الموضوع المختار للتفسير وحدود دائرة البحث فيه أو سعتها.

• يتمّ تقسيم التفسير الموضوعيّ على أسس معيّنة هي: (على أساس وجود الموضوع ومنشئه، وعدد الموضوعات، وسعة دائرة البحث، والشموليّة والجامعيّة).

• المراد من الشكل في التفسير الموضوعيّ هو: بيان حال العلاقة وكيفية بين وحدات الموضوع المفسّر موضوعياً، فيكون التشكيل على أساس كشف العلاقة بين وحدات الموضوع ونوعيّة الرابطة بينهما (يوجد تأثير بينهما أم لا؟).

• التفسير البينيّ هو: اتجاه تفسيريّ قرآنيّ يمثّل ولادة علم جديد نتيجة اندماج علمين قائمين (أحدهما من العلوم البشرية، والآخر هو علم التفسير)، ولعلّ من أمثلته التفسير التربويّ للقرآن الكريم.

---

(١) هاشم أبو خمسين، التفسير التربوي، ص٤٧- ٤٨.

الأسئلة:

س١: عرّف القسم في التفسير الموضوعيّ.

س٢: عرّف الشكل في التفسير الموضوعيّ.

س٣: ما هي الأسس التي يتم تقسيم التفسير الموضوعيّ على أساسها؟

س٤: ما هو المقصود من التفسير البيني (ذي التخصّصين)؟ مع التمثيل له.

س٥: وضّح كيف أنّ التفسير الموضوعيّ ينقسم على أساس سعة البحث؟

س٦: أشرح العبارة الآتية: (المراد من الشكل في التفسير الموضوعيّ هو بيان حال العلاقة بين وحدات الموضوع المفسّر موضوعياً وكيفيّته، فيكون التشكيل على أساس كشف العلاقة بين وحدات الموضوع ونوعية الرابطة بينهما (يوجد تأثير بينهما أم لا؟).

الدرس التاسع: أساليب التفسير الموضوعيّ

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: معرفة أساليب التفسير الموضوعيّ

أهداف ثانوية:

١- تعريف الأسلوب في التفسير الموضوعيّ.

٢- تقديم مقارنة بين التفاسير الموضوعيّة.

المحتوى العلمي:

ومن أجل أن تتضح معالم التفسير الموضوعيّ عند الطالب أكثر فأكثر؛ علينا أن نذهب إلى نفس التفاسير الموضوعيّة ونعرضها للدارسين؛ لكي يكون قريباً من واقع التفسير الموضوعيّ، لهذا سنقدّم هنا مختصراً علمياً عن بعض التفاسير الموضوعيّة؛ وذلك لنرى بمَ ينماز كل تفسير عن غيره؟ وهو سؤال كثير ما يتكرّر عن التفاسير عامّة، أي بماذا اختلف هذا التفسير عن ذاك؟ وعندما نريد الإجابة هنا في التفاسير الموضوعيّة نرى أنّ المائز الواضح هو أسلوب التفسير الموضوعيّ.

تعريف أسلوب التفسير الموضوعيّ: هو طريقة نظم مواضيع التفسير الموضوعيّ وتسلسلها أو ترتيبها والأساسيّ في ذلك.

وهناك عدة مقارنات بين التفاسير الموضوعيّة، نقدّمها؛ لتتضح الصورة عند الدارسين أكثر؛ لأنّ الاطّلاع على تلك المقارنات تجعل الطالب واقفاً على تفصيلات أكثر للتفسير الموضوعيّ، وينظر بدقّة ويبصر من قريب إلى تلك التفاسير، وإليكم تلك المقارنات:

المقارنة الأولى: يتنوّع التفسير الموضوعيّ بأساليب مختلفة من كتاب إلى آخر ومن مفسّر إلى غيره، حاله حال المحاولات التفسيرية الأخرى، وغالباً ما يكون ذلك التنوّع والاختلاف على أساس كيفية ترتيب التسلسل في عرض الموضوعات التفسيرية وتنظيمها وطريقتها، ونريد هنا أن نشير إلى بعض تلك التنوّعات:

أوّلاً: جعل الله محوراً في ترتيب المواضيع التفسيرية.

ثانياً: تناول المواضيع التفسيرية بحسب التسلسل الطبيعيّ للآيات والموضوعات.

ثالثاً: الطريقة التوحيديّة.

وأمّا التفصيل فيها فهو - بإذن الله - على النحو الآتي:

أولاً: جعل الله محوراً في ترتيب المواضيع التفسيرية.

إنّ أولى تلك الطرق هي عرض المواضيع المفسّرة موضوعياً وترتيبها بحسب محورية (الله)، أي: إنّ تقسيم المعارف القرآنيّة وتنظيمها في كتاب التفسير الموضوعيّ لابدّ من أن يكون مستنداً على مقتضيات الذات الأقدسيّة الإلهيّة، فتنظّم العناوين العامّة والخاصّة التفصيلية على ذلك الأساس، واستُدلّ على هذه الطريقة بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾(1)؛ وعليه ستكون جميع الأبحاث طوليّة، والبحث الأساسيّ يتدّرج على أساس معرفة الله، فهو بحث واحد لا يوجد بجانبه شيء آخر، ولا يمكن الانتقال إلى موضوع آخر حتى ينتهي من الأوّل(2). ثمّ ينظّم المفسّر مواضيعه التفسيرية بالترتيب الآتي:

١- معرفة الله. ٢- معرفة العالم. ٣- معرفة الإنسان. ٤- معرفة الطريق. ٥- معرفة المرشد. ٦- معرفة القرآن. ٧- الأخلاق وبناء الإنسان. ٨- الأحكام الفرديّة في القرآن. ٩- الأحكام الاجتماعيّة في القرآن.

---

(١) الحديد: ٣.

(٢) الشيخ المصباح اليزديّ، مجموعة معارف القرآن، ص١٦.

ولابدّ أن نشير إلى وجود تقسيمات فرعية تحت كلّ عنوان من تلك العناوين؛ وعليه ستكون المعارف القرآنيّة وبهذا الترتيب تشمل بالبحث منذ نشأة الوجود، ثمّ مراحل الخلق والتدبير الإلهيّ، حتى ينتهي المطاف بالتدريج إلى بيان صفات المجتمع الإنسانيّ المتكامل، على أن يبقى ارتباط الأبحاث بالمحور الأصليّ (الله) محفوظاً؛ فينماز هذا الأسلوب بالرؤية المتكاملة لجميع المواضيع تحت محوريّة الذات الأقدسيّة لله تعالى شأنه.

ثانياً: تناول المواضيع التفسيريّة بحسب التسلسل الطبيعي للآيات والموضوعات.

يوضّح مبتكر هذه الأسلوب السيّد محمّد باقر الأبطحيّ طريقته بما يأتي: علينا أن نراعي مقتضى طبيعة البحث من جهة تسلسله في الحدوث والتحقّق إذا كانت تلك الجهة تؤثّر في صحّة الموضوع المبحوث بالتفسير الموضوعيّ وتكامله، إذ إنّ المباحث والمواضيع المتقدّمة طبيعياً ومنطقياً لابدّ من أن تكون لها الأولوية، وغيرها تكون في مرتبة متأخّرة؛ ذلك أنّ القرآن الكريم طرح مواضيعه على أساس تسلسل طبيعيّ ومنطقي، أو تسلسل تاريخيّ بحسب الخلق والأسبقية في الوجود؛ وبناءً عليه تجدنا ننظّم المواضيع الاجتماعية؛ لأنّنا نجري ذلك النظم من عالم التكوين إلى عالم التشريع[1].

وعليه، نقدّم موضوع الخلق والتكوين؛ إذ لولا تلك المرحلة لما كان هناك وجود للإنسان، ولا للدين، ولا للعقيدة، ولا للنظم الاجتماعي الصحيح؛ إذ إنّ الله سبحانه خلق الإنسان ثمّ أنزل رزقه، ثمّ أرسل له الرسل ليبيّنوا له أحكام الله[2].

ملحوظة: يُلحظ أنّ الأسلوب الأوّل والثاني يتكلّمان على ترتيب ونظم منطقي للتفسير الموضوعيّ، ولكنّ الأوّل يتكلّم على الأساس الاعتقادي، والآخر يتكلّم على أساس أسبقية الوجود والتسلسل الرتبي فيه؛ ومن جهة أخرى لابدّ أنّ نشير إلى أنّ الرأيين كليهما إنّما هما اجتهاد شخصي فيما يخصّ مواضيع القرآن الكريم[3].

---

(١) المدخل إلى تفسير القرآن الكريم، السيد محمّد باقر الأبطحيّ، ج١، ص١١ -بتصرّف وتلخيص-.

(٢) المصدر السابق.

(٣) يمكن مراجعة مقالة للأستاذ الباحث السيّد محمّد الأيازي، نگاهي به تفاسير موضوعي معاصر،

ثالثاً: الطريقة التوحيديّة.

ونقصد من ذلك أنّ المفسّر يتأثّر بالواقعية والحاجة البشرية في الخارج في نظم الموضوعات المفسّرة موضوعياً، فهو يتناول الموضوعات الأكثر احتياجاً قبل غيرها، ويفسّر الموضوعات التي هي مورد إشكال وتحتاج إلى جواب قبل غيرها، ولربّما يكون الشهيد محمّد باقر الصدر في تفسيره مثالاً واضحاً على هذا الأسلوب؛ إذ نراه يقول: وخلافاً لذلك المفسّر التوحيديّ و الموضوعيّ فإنّه لا يبدأ عمله من النصّ، بل من واقع الحياة، يركّز نظره في موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية، ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني عن ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ، ثمّ يأخذ النصّ القرآنيّ، لا ليتّخذ من نفسه بالنسبة إلى النصّ دور المستمع والمسجّل فحسب؛ بل ليطرح بين يدي النصّ موضوعاً جاهزاً مشرّباً بعدد كبير من الأفكار والمواقف البشرية، ويبدأ مع النصّ القرآنيّ حواراً، سؤالاً وجواباً، المفسّر يسأل والقرآن يجيب، المفسّر في ضوء الحصيلة التي استطاع أن يجمعها من خلال التجارب البشرية الناقصة، من أعمال الخطأ والصواب التي مارسها المفكّرون على الأرض، ولابدّ من أن يكون قد جمع حصيلةً ترتبط بذلك الموضوع، ثمّ ينفصل عن هذه الحصيلة ليأتي ويجلس بين يدي القرآن الكريم، لا يجلس ساكتاً ليستمع فحسب، بل يجلس محاوراً، ويجلس سائلاً ومستفهماً ومتدبّراً؛ فيبدأ مع النصّ القرآنيّ حواراً عن هذا الموضوع، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والرؤية التي بإمكانه أن يستلهمها من النصّ؛ بمقارنة هذا النصّ بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتّجاهات[1].

المقارنة الثانية: وهذه نقاط مقارنة بين الشهيد الصدر والشيخ مكارم الشيرازيّ.

دانشنامه مقالات قرآني.

(١) السيد محمّد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة، ص٢١.

يقوم التفسير الموضوعيّ الذي تبنّاه الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ على أساس متابعة موضوع واحد من الآيات القرآنيّة المختلفة التي تتناوله برؤية موحّدة، وهذه العملية تواجه مشاكل ثلاثاً:

١- لا تتلخّص في جمع عدد من الآيات بالاستعانة بالمعجم، أو بجهاز الحاسوب ثمّ تفسيرها، وإنّما التفسير الموضوعيّ عبارة عن جمع الآيات المتعلّقة بموضوع واحد، سواء جاءت باللفظ نفسه أم بغيره، وهو ما يمكن إنجازه عن طريق الاستعانة بالمعجم المفهرس؛ بل يجب أن تُجمع استناداً إلى الإحاطة التامّة للمفسّر، ثمّ تنظّم على وفق ترتيب منطقي من حيث الأصول والفروع والمنطلقات والمعطيات والآثار والنتائج والدوافع والمحفّزات، أي: إنّ خبرة المفسّر وعقليته دخيلتان في عملية الجمع والتنظيم.

٢- وهناك مشكلة أخرى وهي: أنّ جمع الآيات وأخذ النتيجة منها تحتاج إلى دقّة، وذوق، ووعي كامل، وإحاطة تامّة بالآيات القرآنيّة والتفاسير، وعندما تكون الآيات المرتبطة بموضوعٍ ما متعدّدة الأبعاد بما يخصّ الموضوع، عندها سيكون الجمع بينها أكثر تعقيداً.

٣- إنّ الموضوعات القرآنيّة لا حدّ لها ولا حساب، ففيها المسائل العقائدية، والعلمية، والأخلاقية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية وحتى أمور الكون[1].

هذه المشاكل الثلاث يذكرها الشيخ مكارم الشيرازيّ؛ وهي التي تواجه المفسّر في التفسير الموضوعيّ، ونلحظ فيها عدم تطرّق الشيخ إلى ما يواجهه المفسّر في التجربة البشرية، وكيفية الوصول إلى إجابات قرآنية عمّا يزخر به الواقع من أحداث ووقائع، وهذا هو الفارق بين المنهج الذي سلكه الشهيد الصدر ومنهج الشيخ مكارم الشيرازيّ، فالشيخ يفصّل بين التجربة البشرية والقرآن - إلى حدّ ما هنا-، على حين في منهج الشهيد الصدر نجد أنّه يركّز على عنصر التجربة البشرية، فيتحرّك المفسّر من الواقع إلى النصّ[2].

(١) أُنظر: الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، نفحات القرآن، ج١، ص٢٠.

(٢) لا فرق بينهما من حيث التطبيق، فالسيد والشيخ طبقا أسلوباً واحداً، ولكن الفرق في التنظير. (الناشر).

وبعبارة أخرى: إنّ منهج التفسير الموضوعيّ يقوم على أساس فهمين: فهم الواقع وفهم النص، في حين أنّ منهج الشيخ مكارم الشيرازيّ لا أثر يذكر فيه عن الواقع.

ومن هنا فإنّ الأخذ بمنهج الشهيد الصدر سوف يواجَه بمشكلة غير ما ذكره الشيخ مكارم الشيرازيّ، وهي مشكلة عدم الإحاطة بالواقع، وهذا يعني أنّ المفسّر من الضروري له أن يحمل وعياً كافياً لما هو موجود في الواقع من أفكار ونظريات وأحداث تواجهه، وهذه مسألة صعبة لا يمكن توفّرها بسهولة.

كما يمكن أن نشير إلى فارق مهم وهو أنّ معطيات التفسير الموضوعيّ عند الشهيد الصدر - بناءً على ما مرّ - تمثّل نقلة منهجية ونوعية، وتبدو أكثر ثراءً ممّا هي عليه عند الشيخ مكارم الشيرازيّ(١).

المقارنة الثالثة: بين التفاسير الموضوعيّة الثقافية والواقعية.

يمكن تقسيم التفاسير الموضوعيّة إلى قسمين رئيسيين: التفاسير التي كُتبت من أجل الثراء المعلوماتي كبعض التفاسير الموضوعيّة الفقهية مثلاً، وأخرى التفاسير التي كُتبت لمعالجة مشكلة في الواقع البشريّ كما هو مسلك الشهيد محمّد باقر الصدر، وعندها سنشاهد الفروق الآتية.

١- إنّ المفسّر الأوّل يكتفي بتحليل الآيات وجملها وتراكيبها واستخراج دلالاتها التفصيلية والجزئية والمدلول الموضوعيّ العامّ، وبعبارة أخرى نراه يفسّر الموضوع القرآنيّ لكي ينتقل إلى الموضوعيّ الآخر.

أمّا المفسّر الآخر فهو على العكس، أي لا يكتفي بذلك القدر ولن يكون همّه إبراز تلك المعلومات للقارئ والمتعلّم، بل يركّز في عرض المشكلة من المجتمع ودرج الحلول المطروحة والفحص في القرآن عن الحلّ الوحيانيّ.

---

(١) أُنظر: أحمد الأزرقي، منهج فهم القرآن عند الشهيد الصدر، ص٣٦٥.

٢- المفسّر الأوّل يقدّم للمسلمين تفسيراً نظريّاً ومعلومات ثقافية ومجالات علمية متنوّعة في العقيدة والحديث واللغة والبلاغة والنحو والفقه، وأمّا المفسّر الآخر فهو يحاول أن يحوّل الجانب التفسيري النظري إلى واقعيّ وعمليّ يدخل في مجالات الحياة وجوانبها التطبيقية.

٣- المفسّر الأوّل يخدم المعرفة القرآنيّة وثقافة المسلمين، والآخر يخدم رسالة القرآن وقيادة واقع المسلمين ومهمّته، أو بعبارة أخرى فإنّ الآخر أكثر تناسباً مع مقاصد القرآن وأولوياته ومنطلقاته الأساسية وأقرب إلى أدوات تحقيق أهدافه[1].

خلاصة الدرس:

• تعريف أسلوب التفسير الموضوعيّ: هو طريقة نظم مواضيع التفسير الموضوعيّ وتسلسلها أو ترتيبها والأساسيّ في ذلك.

• هناك عدّة مقارنات بين التفاسير الموضوعيّة: منها (على أساس كيفية ترتيب التسلسل في عرض الموضوعات التفسيرية وتنظيمه وطريقته)، و(على أساس متابعة موضوع واحد من خلال الآيات القرآنيّة المختلفة التي تتناوله برؤية موحّدة)، و(على أساس الهدف من كتابة التفسير فقد يُكتب من أجل الثراء المعلوماتيّ، وقد يكتب لمعالجة مشكلة في الواقع البشريّ).

---

(١) أُنظر: السيّد سعيد الأعرجي، مقالة: مقارنة بين التفسير المعاصر والتفسير الموضوعيّ، مجلّة آفاق الحضارة الإسلامية، ص١٣٠، العدد ١٦، السنة الثامنة.

الأسئلة:

س١ : عرّف الأسلوب في التفسير الموضوعيّ.

س٢: هناك عدة مقارنات بين التفاسير الموضوعيّة، على أي أسس قامت تلك المقارنات؟

س٣: ما هي المشاكل التي تواجه التفسير الموضوعيّ الذي تبنّاه الشيخ مكارم الشيرازيّ؟

س٤ : قارن بين التفاسير الموضوعيّة الثقافية والواقعية.

س٥ : ما المقصود بالطريقة التوحيدية؟

س٦: أشرح العبارة الآتية: إنّ منهج الشهيد الصدر في التفسير الموضوعيّ يقوم على أساس فهمين: فهم الواقع وفهم النصّ.

الدرس العاشر: آفات التفسير الموضوعيّ

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: معرفة العيوب المتوقّعة في التفسير الموضوعيّ.

أهداف ثانوية:

١- معرفة الأخطاء الناتجة عن اختيار الموضوع.

٢- معرفة الأخطاء الناتجة عن مرحلة جمع الآيات وتفسيرها.

٣- معرفة الأخطاء الناتجة عن خلل في التنظير.

المحتوى العلمي:

لكلّ علم ضوابط على الباحث فيه ألاّ يتجاوزها؛ لأنّها مؤشّر للصحّة والخطأ، فتلك الضوابط تعدّ محدّدات لصحّة النتائج، وعادة ما تنقلب تلك الضوابط إلى عيوب في حال عدم رعايتها، وكذا الحال في دراستنا للتفسير الموضوعيّ، فمن أجل معرفة الصحيح من التفسير الموضوعيّ لابدّ من الوقوف على أهمّ العيوب التي قد يصاب بها التفسير الموضوعيّ؛ إذ ليس من كمال التعلّم أن تعرف الشيء بإيجابياته فقط؛ بل علينا أن نلحظ مواطن الضعف أو النقص إن وجدت طبعاً، وعليه فإذا أردنا أن تكتمل الصورة عندنا عن التفسير الموضوعيّ وعملية التفسير الموضوعيّ والتفاسير الموضوعيّة علينا أن نسأل ما هي العيوب أو الأخطاء التي من المتوقّع أن يقع فيها التفسير الموضوعيّ؟

سنحاول في هذا الدرس أن نعرض للدارس العزيز أهمّ مواضع الخلل والانزلاق في التفسير الموضوعيّ، وهي على أقسام نعرض إليها على النحو الآتي[1]:

(١) استلّ البحث من مقالة للشيخ علي سراقي، مجلّة (معرفت)، العدد ١٠٧، مؤسسة الإمام الخميني، قم

أوّلاً: الأخطاء المتعلّقة باختيار الموضوع.

١- أن يكون الموضوع خارج دائرة التنظير القرآنيّ؛ إذ توجد مواضيع خارجة عن مجال القرآن الكريم وعلى المفسّر أن يلحظ أن ليس كلّ شيء من المسائل المستحدثة لابدّ من أن نجد تفصيلها في القرآن، فالقرآن منهج ديني تربوي للبشرية غير متخصّص بجزئيات العلوم واصطلاحاتها المستحدثة.

٢- اختيار موضوع عام بحيث لا يمكن تحديد رؤية خاصّة عنه؛ نحو اختيار بحث التقوى في القرآن، فهو عامّ وواسع جدّاً، ولا يمكن إعطاء رؤية خاصّة به، بخلاف ما لو ربطت التقوى بموضوع آخر لتخصّص مثلاً (التقوى والرزق في القرآن)، عندها يمكن للتفسير الموضوعيّ تركيز نظره في تلك العلاقة؛ ليكتشفها ويبدي رؤية القرآن عنها.

٣- عدم تحديد أهداف البحث: فقد يكون البحث القرآنيّ مجرّد استطراد واستدراج ومتابعة علمية لا يرمي الوصول إلى نتيجة محدّدة أو منشودة، أو يكون البحث القرآنيّ لا يهدف إلى حلّ مشكلة واقعية أو لا يسدّ حاجة من حوائج المجتمع، أو يكون علميّاً تنظيرياً خالصاً غير تطبيقي، وغيرها من حالات يقع فيها المفسّر فيما لو لم يحدّد أهداف بحثه مسبّقاً.

٤- الدخول إلى التفسير الموضوعيّ بأحكام ذهنية مسبّقة: وعندها يكون المفسّر مفتّشاً عمّا يؤيّد صورته الذهنية، ويبحث عمّا يكون له دليل على فرضيّته التي حدّدها قبل البحث. والصحيح أن يدخل المفسّر إلى القرآن وهو يبحث بموضوعية وعلمية عن رأي القرآن ومقصده ونظريته عن مسألةٍ ما، من دون ميول شخصية أو عرقية أو غيرها.

٥- عدم اختيار لفظ جامع: فعلى سبيل المثال نرى أنّ القرآن الكريم قد طرح موضوع الحرب والصلح بألفاظ عدة منها: (الحرب، القتال، الضرب، الثبات، الفشل، السلام، الفرار...)، وعلينا عندئذٍ أن نختار لفظاً جامعاً نحو (الجهاد في سبيل الله)؛ ليشمل الألفاظ المتقاربة والمتقابلة.

٢٠١٥، مع الترجمة والتصرّف.

٦- الغفلة عن العناوين الانتزاعية: قد نجد مواضيع كثيرة في القرآن ليس لها لفظ أو اسم قرآنيّ نصّيّ مباشر، وعندئذٍ علينا أن ننتزع عنواناً من أقرب الألفاظ القرآنيّة له. مثال ذلك: موضوع ظهور الأمم وبروز الحضارات أو زوالها، فإنّنا يمكن أن ندرجه تحت عنوان (السنن الإلهية في نشوء الحضارات وزوالها)، فالسنّة أقرب الألفاظ لذلك الموضوع، وعلينا تجنّب الألفاظ غير القرآنيّة؛ ولاسيّما المتقاربة بالمعنى، فمثلاً لا يمكن أن نستبدل عنوان (الشورى في القرآن) بـ (الديمقراطية في القرآن).

ثانياً: الأخطاء المتعلّقة بمرحلة جمع الآيات.

١- الاكتفاء بمعجم الآيات القرآنيّة: لا ينبغي الاكتفاء بالمعاجم القرآنيّة، فليس بعيد ألاّ تذكر المعاجم بعض الآيات التي تدخل ضمن الموضوع؛ بسبب أنها لا تحمل الكلمة نفسها أو اللفظ نفسه؛ وكمثال على هذا: إنّ هناك العديد من الآيات التي موضوعها (الرحمة الإلهية)، ولكن لفظ (الرحمة) لم يرِدْ فيها مباشرةً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾(1)، أو في قوله في ضمن الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾(2)، وهي آيات ظاهرة في رحمة الله تعالى بعباده، رغم أنّ كلمة (الرحمة) لم ترِدْ فيها مباشرة؛ فضلاً عن أنّ الاكتفاء بالمعاجم والانطلاق منها يضع المفسّر ضمن الأفكار والرؤية والأحكام والتصوّرات المسبقة، وهي من الآفات التي تلحق تحديد مراحل التفسير الموضوعيّ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٢- التسامح أو الإهمال في تجميع آيات الموضوع قيد البحث: فمن الآفات الأخرى في هذا الجانب أنّ المفسّر يتساهل كثيراً في تجميع الآيات بمجرّد احتمال أنها قريبة من الموضوع، ولا يتعب نفسه في دراسة الآيات كلاً على حدة، وهذا يسبّب في تراكم الآيات، وقد يستدرج المفسّر إلى مواضيع لا علاقة لها بالموضوع قيد التحقيق، فتكون النتائج قريبة من الاشتباه

(١) النحل: ٦١.

(٢) فاطر: ٤٥.

والخطأ.

٣- التشدّد الناتج عن الوسوسة والإفراط في تجميع الآيات: أي التشدّد في اختيار الآيات، لمجرّد الاحتمال الناتج عن التخمينات الفاقدة إلى المؤيّد أو الدليل، فيعمد المفسّر إلى أن يطبّق وبدقّة جميع معايير وحدة الموضوع بين الآيات المراد بحثها، فيحذف من الآيات ما لم يتّحد موضوعها تماماً؛ وهذا التشدّد يجعل التفسير ضعيفاً، ثمّ فقيراً، وينتج رؤية مبتورة؛ لأنّه لم يأخذ جميع الآيات المتحدة في الموضوع بعين الاعتبار والبحث.

ثالثاً: الأخطاء المتعلّقة بمرحلة التفسير الترتيبيّ.

١- عدم مزاولة التفسير: لابدّ للمفسّر الموضوعيّ أوّلاً من ممارسة التفسير الترتيبيّ، وأن يكون عارفاً بمناهجه واتجاهاته وأصوله ومنعطفاته ثانياً، وأن يكون ممتلكاً لشروط المفسّر الترتيبيّ ثالثاً، وبغير ذلك لا يمكن له أن يجمع الآيات ويمارس التفسير الموضوعيّ بنجاح وثقة، كما لا يمكن الاعتماد على ما يتوصّل إليه من نتائج؛ فلا بدّ له من ممارسة التفسير الترتيبيّ، حتى تتكوَّن عنده معرفة بمواضيع الآيات، وعندئذٍ ينجح في اختيارها ودراستها وضمّ بعضها إلى بعض.

٢- عدم معرفة الترتيب النزوليّ للآيات: من شروط المفسّر معرفته بترتيب النزول، حتى يكون دقيقاً في تفسيره؛ لأنّه من دون هذه المعرفة قد يجعل الآية الأولى قيداً أو إطلاقاً للثانية، في حين يكون العكس هو المراد، ومثاله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(١)، هذه الآية نزلت قبل الآيات الأخرى المحرِّمة للربا مطلقاً، كما في سورة البقرة الآيتان ٢٧٥ و٢٨٠، والآية من آل عمران قد حرّمت الربا تدريجيّاً، وأشارت إلى الربا الذي تكون فيه الأموال أضعافاً مضاعفة، على حين أنّ الآيتين من سورة البقرة، واللّتين نزلتا بعد آية آل عمران، قد حرّمت مطلق الربا قليله

(١) آل عمران: ١٣٠.

وكثيره، وإذا لم يكن المفسّر على اطّلاع بترتيب نزول هذه الآيات فسيقع في المحذور؛ إذ سيجعل التحريم المطلق أوّل ما نزل، ويعتقد أنّ آية آل عمران جاءت لتقيّد هذا المطلق، فيصبح الربا المطلق في سورة البقرة مقيّداً بالآية من سورة آل عمران، وحينئذٍ يصبح الربا القليل ممّا لا إشكال فيه.

٣- العلمانية المفرطة: إنّ الإفراط في استخدام العلوم الحديثة قد يؤثّر في الغفلة عن شيء من أصول التفسير الموضوعيّ، والتهاون في استخدام النظريات الظنّية ومنحها الأصالة، وتقديمها على أصول التفسير والقضايا القطعية، الحال الذي يوجب الخلل في التفسير وصحّته ونتائجه.

ومن الأمثلة الأخرى على الانزلاق في تفسير القرآن على وفق النظرة العلمية أنّ أحد المؤلّفين كتب يقول: إنّ منشأ القول بأنّ أبا البشرية وهو سيّدنا آدم عليه السلام خُلق من طين هو التوراة، وأنّ المفسّرين للقرآن إنّما اتّبعوا ما جاء في التوراة؛ لعدم اطّلاعهم على النظريات العلمية، وكرّروا الحديث عن آدم وحواء، على حين الصحيح ما جاء به دارون الذي قال برؤية التطوُّر، فالإنسان كان قرداً، ثمّ تطوَّر - لعوامل الطبيعة وما تفرضه من تحدّيات - إلى الإنسان الذي نراه اليوم يمشي على البسيطة.

٤- إغفال تفاعل الآيات معنائياً فيما بينها أو عدم تحصيل المفهوم المجموعي للقرآن: إنّ من أهمّ شروط التفسير الموضوعيّ هو الرؤية المنهجية الجامعة لمفاهيم القرآن الكريم، والالتفات إلى السياق العامّ للقرآن والتركيز في ارتباط كلّ آية بالآيات الأخرى - فقد تكون الآية موضّحة أو مقيّدة أو مخصّصة أو ناسخة - الخاصّة بالموضوع المراد بحثه أو بالمواضيع الأخرى، والحقّ كما قال الشهيد الصدر الأوّل قدس سره : (فالنظر إلى كلّ القرآن كوحدة واحدة من الأصول التي يبني عليها المفسّرون اليوم التفسير الموضوعيّ)[1].

---

(١) السيّد محمّد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة، ص٢٣١.

وقد كتب الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ في مقدّمة تفسيره الموضوعيّ: (نحن نعلم أنّ الأسلوب الصحيح في دراسته كتاب «التكوين» أي عالم الخلق وكائنات عالم الوجود هو في مطالعتها من حيث ارتباطها مع بعضها، ففي الحقيقة عن أنّ الشمس والقمر والأرض والإنسان والمجتمعات البشرية هي مواضيع لا تنفصل عن بعض، وهي تشكّل في مجموعها كياناً واحداً متلازماً، والأسلوب الصائب في دراستها هو أن نبحثها من حيث ارتباطها مع بعضها.

وهكذا الأمر في كتاب «التدوين» أي القرآن الكريم، فهنالك علاقات دقيقة ولطيفة فيما بين مواضيع القرآن الكريم، ولابدّ من تفسيرها من حيث ارتباطها مع بعضها)(١).

رابعاً: الأخطاء المتعلّقة بمرحلة التنظير.

١- عدم الالتزام التامّ بمفاد الآيات: يلزم المنظّر القرآنيّ التقيّد التامّ بمفاد مفهوم الآية المستنتج منها، فلا يضيف من عنديّاته شيئاً أو يحذف آخر. وكذا يلزمه عدم إدخال العناصر غير القرآنيّة في عملية التنظير كاللغة أو بعض التاريخ أو الفلسفة أو السنّة (الخارجة عن تفسير الآية)، كما لا ينبغي إخفاء ما تبيّن من مفاهيم قرآنية تحت أيّة غاية، ولو كان بغرض الدفاع عن القرآن.

وقد سلك هذا بعض المفسّرين، حيث عمدوا إلى إخفاء بعض المفاهيم حتى لا يُعاب على القرآن، أو تكون مورد إحراج لهم، وهم يتصوّرون أنّهم يحسنون صنعاً، كما هو الشأن في موضوع تعدُّد الزوجات، والطلاق، والربا، فعمدوا إلى تأويلها بما يرضي مخالفيهم، وهم في حقيقة الأمر إنّما أبطلوا مفاهيم قرآنية.

٢- الالتفاف على القرآن وإعطاء المحورية لأمور أخرى: وهو أن يستغرق المفسّر في توسيع الموضوع بحيث يشتغل بأمور هامشية وبآراء المفكّرين ونظريّاتهم أكثر من القرآن، ممّا

---

(١) الشيخ مكارم الشيرازيّ، نفحات القرآن، ج١، ص٦.

يجعله يخرج عن إطار التفسير الموضوعيّ، ويجعل الإفادة من القرآن قليلة قد تظهر أو لا تظهر في الصورة العامة للتفسير.

ولعلّ السبب في ظهور هذا الأسلوب هو محاولة مسايرة الركب العصري، وتظهر هذه الدراسات تحت عناوين، مثل: (الدراسات القرآنيّة)، و(حول القرآن). وقد انجرّ وراء هذا الأسلوب علماء قدامى، مثل: الفخر الرازي، وحديثاً: الشيخ الطنطاوي، حتى قيل عن تفسيرهما: (فيهما كلّ شيء إلّا التفسير).

٣ - الاستعجال في التنظير وعدم التزام الدقّة: لابدّ للمفسّر الموضوعيّ من التزام التأمّل والدقّة عند استخلاص الرؤية القرآنيّة عن موضوع من المواضيع، ولا ينبغي أن يتسرّع في عدم مراعاة التركيز والتأنّي في تجميع الآيات الموحّدة في موضوعها أو المرتبطة بشكل من الأشكال بنفس الموضوع، ليصدر حكماً أو يبني أحد الأصول على ما توصّل إليه؛ لأنّ استقراءه للآيات سيكون حينئذٍ استقراءً ناقصاً، وحينئذٍ سيكون الحكم مبتوراً، وتكون الرؤية خاطئة بالتبع؛ لأنها لم تنطلق من جميع الشواهد، الأمر الذي يجعلها ناقصة من المنشأ.

وقد وقع في هذا المسلك الخاطئ الكثير ممّن اشتغل في حقل التفسير الموضوعيّ، ونذكر على سبيل المثال: ابن فارس في كتابه (الإفراد)، حيث قال: في القرآن أينما أتت كلمة (برّ) و(بحر) فالمراد بالبحر الماء، والمراد بالبر الثرى، إلاّ في قوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾(١)، حيث المراد بالبرّ البرية والعمران؛ وذلك لأنّ استقراءه للمفردة لم يشمل جميع الآيات فقد استخلص رؤية خاطئة، وحمّلها للقرآن، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾(٢)، فلا شكّ في أنّ حكم الفضاء كالأرض داخل تحت حكم الحرمة، فالمحْرِم بالحج إذا

---

(١) الروم: ٤١.

(٢) المائدة: ٩٦.

اصطاد طيراً في الهواء فقد وجبت عليه الكفّارة، ولكن تبعاً لرؤية ابن فارس فلا كفّارة عليه؛ لأنّ الصيد لم يكن على الثرى.

٤- عدم الاعتناء بخصوصيات القرآن: فالمفسّر حين يغفل خصوصيات القرآن ولا يضعها نصب عينيه حين استخلاص الرؤية القرآنيّة، فإنّ الخطأ والاشتباه سيرافقه في تحديد القواعد، وإعلان الحقائق القرآنيّة. ومن الخصوصيات الأساسية التي حاول بعض المفسّرين طرحها في هذا الميدان:

أ- إنّ القرآن هو الأصل التامّ لجميع العلوم.

ب - إنّ القرآن في غاية الإحكام والإتقان.

ج - القرآن خالٍ من الزيادة والتكرار.

د - القرآن كتاب لهداية البشرية.

هـ - القرآن لا يحتمل فيه الخطأ مطلقاً.

و- بيانات القرآن مبنية على الحقّ، ولا شيء غيره.

ز- إنّ مجازات القرآن لا تشبه المجازات في غيره؛ لأنها مبنية على الصدق.

ح - ليس بين ألفاظ القرآن ترادف(١).

خلاصة الدرس:

هناك أخطاء وعيوب قد تلحق بعملية التفسير الموضوعيّ، أهمّها: (الأخطاء المتعلّقة باختيار الموضوع)، (الأخطاء المتعلّقة بمرحلة جمع الآيات)، (الأخطاء المتعلّقة بمرحلة التفسير الترتيبيّ)، (الأخطاء المتعلّقة بمرحلة التنظير).

---

(١) عبد الستار سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعيّ، ص٧٨.

الأسئلة:

س١: ما هي الأخطاء أو العيوب التي قد يقع فيها التفسير الموضوعيّ؟

س٢: أذكر الأخطاء التي قد يقع فيها التفسير الموضوعيّ في مرحلة جمع الآيات؟ أذكرها وأشرح واحدة منها.

س٣: وضّح المراد من: (عدم استخدام العلمانية المفرطة في التفسير الموضوعيّ).

س٤: ماذا نقصد بالعبارة الآتية: (ضرورة عدم الالتزام التامّ بمفاد الآيات في التفسير الموضوعيّ)؟

س٥: لماذا يعدّ معرفة الترتيب النزولي للآيات ضرورياً في عملية التفسير الموضوعيّ؟

س٦: حلّل العبارة الآتية وأشرحها: (من الضروري جدّاً للمفسّر الموضوعيّ مزاولة التفسير الترتيبيّ).

الدرس الحادي عشر: خطوات كتابة التفسير الموضوعيّ (القسم الأوّل)(1)

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: تعرّف خطوات عمليّة التفسير الموضوعيّ عموماً.

أهداف ثانوية:

تعرّف بعض المهارات والتطبيقات المتعلّقة بعملية التفسير الموضوعيّ.

المحتوى العلمي:

تمهيد:

نحاول أن نتطرّق في هذه المحطّة إلى ذكر الطريقة أو الخطوات - التي ينبغي لمن يتصدّى للتفسير الموضوعيّ بحثاً وكتابةً اتّباعها والتقيّد بها - سرداً على سبيل الإجمال أوّلاً، ثمّ نعود إليها بالتفصيل الوافي ثانياً؛ نظراً إلى أهمّيتها البالغة في ضبط العمل العملي لهذا الفنّ الجديد، ولتحديد أصولهِ على أصول ومعالم ثابتة وطيدة، فنقول وبالله التوفيق:

أوّلاً: الخطوات إجمالاً:

١- المعرفة الدقيقة لمعنى التفسير الموضوعيّ الخاصّ الذي يريد الباحث مزاولته.

٢- تحديد الموضوع القرآنيّ المراد بحثه تحديداً دقيقاً من حيث المعنى.

٣- اختيار عنوان له من ألفاظ القرآن الكريم ذاته، أو عنوان منتزع من صميم معانيه القرآنيّة.

٤- جمع الآيات الكريمة المتعلّقة بالموضوع، والعناية باختيار جوامعها عند إرادة الاختصار.

---

(١) تلخيص لبحث (الطريقة المثلى في دراسة التفسير الموضوعيّ)، عبد الستار فتح الله سعيد.

٥- تصنيفها من حيث المكّي والمدني، وترتيبها من حيث زمن النزول ما أمكن.

٦- فهم الآيات الكريمة بالرجوع إلى تفسيرها، ومعرفة أحوالها؛ من حيث أسباب النزول، وتدرّج التشريع والنسخ، والعموم والخصوص، وغير ذلك ممّا يتقرّر به المعنى.

٧- تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة منتزعة من الآيات نفسها، وردّ الآيات إلى عناصرها وموضعها من البناء الكلّيّ للموضوع، مع تفسير موجز لما يحتاج منها إلى تفسير، واستنباط حقائقها القريبة من غير تكلف، وردّ الشبهات عن الموضوع ذاته.

٨- التقيُّد التامّ في كلّ هذه الخطوات بقواعد التفسير الموضوعيّ، وضوابطه العلمية.

فهذه ثماني خطوات.

ثانياً: الخطوات تفصيلاً وتطبيقاً:

الخطوة الأولى: المعرفة الدقيقة لمعنى التفسير الموضوعيّ الخاصّ.

نقصد بهذه الخطوة: أن يميّز المفسّر أو الباحث هذا المصطلح عمّا يخالطه من أبحاث أخرى؛ حتى يتضح له عمله من أوّل الطريق، وبذلك يتجنّب الأخطاء التي يقع فيها كثير من الباحثين، حين يكتبون تحت هذا العنوان ما لا يمتّ له بصلة؛ كـ(تفسير السور المكّية) الذي نُشر تحت عنوان: (التفسير الموضوعيّ للقرآن)، وهو تفسير موجز يلتزم النمط المشهور في التفسير؛ حيث يقسّم السورة إلى جملة مقاطع، يتناول كل منها على ترتيب السورة بالبيان الأدبي الإجمالي، وبأسلوب لطيف، ولكنّه ليس تفسيراً موضوعياً بأيّ معنًى من معانيه.

وكذلك يتجنّب الباحث الكتابة تحت عنوان ما يسمّى (النظام في القرآن)، أو (الوحدة الموضوعيّة في سور القرآن الكريم)، أو (التفسير الموضوعيّ) بمعناه العامّ، كالنسخ في القرآن ونحوه، أو علم المناسبات؛ لأنّ هذه الجوانب - مع جلالتها وعظمتها - خارجة عن مصطلح التفسير الموضوعيّ بمعناه الجديد، المقيّد بمعناه الخاص[1].

(١) عبد الستار فتح الله سعد، الطريقة المثلى في دراسة التفسير الموضوعي، www.manaratweb.com.

الخطوة الثانية: تحديد الموضوع المراد بحثه تحديداً دقيقاً

من حيث وجوده في القرآن أوّلاً، ثمّ من حيث المعنى ثانياً؛ حتى لا تختلط هذه القضايا أو تتداخل المسائل، أو من حيث الأوصاف؛ كالإطلاق والتقييد... ونحو ذلك.

الخطوة الثالثة: اختيار العنوان

فينبغي أن يُراعى فيه ما يأتي:

١- أن يكون لفظاً قرآنياً صريحاً أو مشتقّاً، ولا ينبغي العدول عن اللفظِ القرآنيّ إلى معناه إلاّ لضرورة، ولا يجوز البتّة ترك اللفظ القرآنيّ إلى غيره من مصطلحات الناس خاصّة في مواطن الاشتباه؛ فلا يصحّ - مثلاً - أن يترَكَ لفظ (الشورى) في ضوء القرآن الكريم، فهذا البحث بحث عظيم، تحدّث الله عنه في سورة كاملة اسمها الشورى، وتحدّث في سورة آل عمران عن الأمر بالشورى، وغير ذلك، فيبحث موضوع (الشورى) في القرآن، ولكن لا يصحّ أن يعدل عن هذا إلى لفظ آخر يظنّه مرادفاً أو مقارباً للشورى، مثل عنوان:

(الديمقراطية في القرآن)، فلا يصحّ أن يترك لفظ (الشورى) إلى لفظ (الديمقراطية).

ولا يترك لفظ (الزكاة) إلى (الاشتراكية) أو (الضريبة الاجتماعية) ولا يترك لفظ (الجاهلية) من بحث عنوانه: (الجاهلية في ضوء القرآن)، لا يترك هذا اللفظ باعتباره مصطلحاً إسلامياً يدلّ على المناهج المخالفة لدين الله، فيقال مثلاً:

(العَلمانية أو العِلمانية في ضوء القرآن الكريم)، هذا خطأ؛ لأنّ القرآن له دلالات محدّدة، ولا يعبّر عن الجهاد في سبيل الله بلفظ (صراع الطبقات)، ونحو ذلك من المصطلحات الحادثة التي تعني معانيَ محدّدة، قد تخالف القرآن في جملتها أو في تفصيلها[1].

٢- اختيار اللفظ القرآنيّ الجامع والأشمل عند تعدّد الألفاظ؛ ليكون عنواناً للبحث، ومحوراً يُدَارُ عليه الموضوع ابتداءً، ثمّ تُضَمّ إليه في تكوين الموضوع الألفاظ المقاربة لمعناه، ثمّ

---

(١) عبد الستار فتح الله سعد، الطريقة المثلى في دراسة التفسير الموضوعي.

الألفاظ المقابلة للمعاني السابقة؛ لأنّ كل حكم يتقرّر في النقائض والأضداد سلباً وإيجاباً يفيد في توضيح حكم ما يقابله، وكما قيل بحقّ: وبضدّها تتميّز الأشياء.

ويُوضع هذا كله موضع البحث والمقارنة والموازنة والبيان لمن أراد الاستيعاب واستقراء الموقف القرآنيّ الشامل من موضوع ما، مثال ذلك: موضوع (الحرب والسلام في ضوء القرآن الكريم) نختار له أجمع الألفاظ ليكون عنواناً وهو (الجهاد في سبيل الله)؛ لأنّه أشهر الألفاظ التي وردت في القرآن عن هذا الموضوع، ثمّ نضمّ إليه ما يقاربه في المعنى مثل: (القتال، الحرب، الضرب، الثبات، الإثخان في الأرض، الغلب، النصر، الفتح، اللقاء، الصف، الإعداد، الغنيمة، الفيء، الأسرى، العهد)، ثمّ نضمّ إليه ما يقابله مثل: (السلام، والفرار، والتولّي، والفشل، والرعب، والنبذ، ونقض العهود)... وما إلى ذلك.

ومثال آخر: موضوع (تفرّد الله تعالى في ذاته وصفاته)، نختار له أجمع الألفاظ وأشهرها في القرآن وهي: (الوحدانية، والتوحيد)، ثمّ المقاربة مثل ألفاظ: (الرب، الإله، العبودية، الحكم، التشريع...)، إلى آخره، ثمّ المقابلة مثل: (الشرك، الكفر، الطاغوت، الأصنام، الأوثان)، وما إلى ذلك.

الخطوة الرابعة: وهي جمع الآيات الكريمة المتعلّقة بالموضوع.

والعناية باختيار جوامعها عند إرادة الاختصار، نقول في تفصيلها: جمع الآيات الكريمة المتعلّقة بالموضوع من أطرافه المذكورة: اللفظية والمعنوية، المقاربة، والمقابلة، ومعانيها، ويتفاوت عدد الآيات المطلوبة باعتبار النوع الذي يريده المفسّر؛ ففي التفسير الموضوعيّ (الوجيز) يأخذ الآيات التي فيها لفظ العنوان فحسب، أو التي فيها جوامع هذا اللفظ، أو جوامع الآيات التي تمثّل أصول المعاني، وفي التفسير الموضوعيّ الوسيط يأخذ جوامع الآيات التي تؤلّف موضوعاً متكامل العناصر من اللفظ وأطرافه؛ بحسب الموازنة والاختيار، وفي التفسير البسيط - الذي يؤلّف في الرسائل والكتب المفردة الطويلة - يأخذ الآيات كلّها ويستقصي أطراف الموضوع، وذلك في الرسائل العلمية والتأليفات المفردة الواسعة.

الخطوة الخامسة: تصنيف الآيات الكريمة من حيث المكّي والمدني وترتيبها من حيث زمن النزول ما أمكن ذلك.

فيعلم الباحث أنّ نزول الآية كان في أوّل العهد، أو في وسطه، أو في آخره، وعهد نزول القرآن في مكّة والمدينة ٢٣ سنة، لابدّ أن يعلم؛ حتى تتّضح له دقائق الموضوع القرآنيّ، أو الناسخ من المنسوخ، كالآيات التي نزلت على طريقة التدرّج التشريعي، مثل: آيات تحريم الخمر.

الخطوة السادسة: فَهْم الآيات الكريمة قبل الشروع في التفسير الموضوعيّ.

الاستعانة في فهم تفسير الموضوع بما صحّ عن النبي ﷺ ومصادر التفسير الأخرى. وفَهْم الآيات الكريمة قبل الشروع في التفسير الموضوعيّ أمرٌ ضروري؛ حتى يستطيع المفسّر ترتيبها وتأليف عناصرها، ولذلك ينبغي الرجوع إلى كتب التفسير التي تناسب الموضوع؛ ليعلم معاني الآيات الكريمة في مواضعها من ترتيب المصحف الشريف، وليتبيّن أحوالها المتعدّدة، من حيث الناسخ والمنسوخ، أو العموم والخصوص، وأسباب النزول، ونحو ذلك، وبذلك يكون التفسير التحليلي ضرورة للتفسير الموضوعيّ؛ فهما يتعاونان، ولا يتعارضان؛ بل يتكاملان لخدمة النصّ القرآنيّ، وإنضاج علم التفسير كله.

الخطوة السابعة: تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة منتزعة من الآيات نفسها.

بعد فهم الآيات الكريمة والنظر فيها مجتمعة، يقسّم المفسّر الموضوع إلى عناصر وأجزاء منتزعة من صميم المعاني المقرّرة في الآيات الكريمة، ويربط بينها برباط علمي يجعل من الموضوع وحدة واحدة متسلسلة، ومرتّبة ترتيباً فنياً يتفق مع النمط القرآنيّ، فيقدّم ما يتعلّق بذات الله على كل شيء، وما يتعلّق بالأصول على الفروع، وما يتّصل بالفرائض على ما دونها، وهكذا يقدّم الأهمّ على المهمّ، وجواهر الأشياء على أعراضها، على وفق خطّة ونظام يبرز إعجاز القرآن في موضوعاته، كما هو معجز في مواضع آياته المرتّبة في سورها؛ لأنّ كليهما جاء

بقدر موزون، أو كما قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١).

فإذا استوت هذه العناصر أمام نظر المفسّر ضمّ إلى كل منها ما يلائمه من الآيات بلا تكلّف، ويفسّر مفرداتها ومعانيها المتّصلة بالموضوع اتّصالاً وثيقاً، مع الاقتصار على موضع الدلالة من الآية الكريمة - إن كانت متعدّدة الأغراض - لأنّ التفسير هنا مرتبط بالموضوع، ولكلّ مقام مقال، وما العلم إلاّ مراعاة مقتضى الحال، وإذا كان الموضوع ممّا يرد عليه بعض الشبهات، التمس الرد من آيات الموضوع ذاته؛ فإنّ الله - سبحانه وتعالى - أودع كتابه معاني لا تحصى، فإن لم يُفتح للمفسّر من هذا، التَمَسَ الردّ من القرآن في موضوع آخر مناسب لموضوعة كموضوع الغيب بالنسبة لصفات الله تعالى، وكموضوع الوحي بالنسبة لموضوع الرسالة والرسل، وهكذا، ولا يخرج عن إطار القرآن الكريم في هذا الباب إلاّ إلى الآثار الصحيحة التي في ذات الموضوع؛ لأنها شارحة للقرآن الكريم.

الخطوة الثامنة: التقيّد بقواعد هذا التفسير وضوابطه.

فالقصد منها لفت انتباه المفسّرين والباحثين، ووجوب مراعاتها؛ حتى يتجنّبَ الحشو والاستطراد والتقسيمات الفنّية المحضة التي وردت في مصطلحات العلوم المنطقية والفلسفية، ولا يَتَوَرَّط في تقسيمات أو تقعيد قواعد قد تعارض نصوص القرآن الكريمة المباشرة.

خلاصة الدرس:

تحديد خطوات البحث في التفسير الموضوعيّ:

أوّلاً: اختيار الموضوع المراد دراسته.

ثانياً: جمع الآيات القرآنيّة المتعلّقة به.

(١) هود: ١.

ثالثاً: ترتيبها على وفق أسباب النزول لمعرفة المتقدّم من المتأخّر منها.

رابعاً: شرحها شرحاً وافياً يجلي مضمونها، ويكشف عن مكنونها، ويربط بين أجزائها، وإزالة ما يتوهّم أنّه اختلاف وتناقض بينها، أو ناسخ ومنسوخ، أو خاص وعام، أو مطلق ومقيّد، أو مجمل ومفسّر.

خامساً: الاستعانة في الموضوع بما صحّ عن النبي وآل بيته الأطهار ﷺ ومصادر التفسير الأخرى.

الأسئلة:

س١: ما هي الخطوات التي على المفسّر الموضوعيّ اتّباعها في بحثه؟

س٢: هل مِنَ الضروري اختيار عنوان من ألفاظ القرآن ليكون عنواناً للتفسير الموضوعيّ؟ وضّح مع الشرح.

س٣: هل يُعدّ تفسير السور القرآنيّة بحسب المكّي والمدني من التفسير الموضوعيّ؟ ولِمَ؟

س٤: حلّل العبارة الآتية: (اختيار اللفظ القرآنيّ الجامع والأشمل عند تعدّد الألفاظ؛ ليكون عنواناً للبحث).

س٥: هل يصحّ أن يأخذ المفسّر جزءاً من آية فحسب ليستدلّ بها على موضوعه؟ وضّح ذلك.

س٦: هل يصحّ أن يكون عنوان التفسير الموضوعيّ (الديمقراطية في القرآن)، وقُصد به موضوع (الشورى في القرآن)؟ ولِمَ؟



الدرس الثاني عشر: خطوات المفسّر الموضوعيّ (القسم الثاني)

(خطوات المفسّر الموضوعيّ، الشيخ مكارم الشيرازيّ)

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: تعرّف خطوات تدوين التفسير الموضوعيّ عند الشيخ مكارم الشيرازيّ.

أهداف ثانوية:

١- التعريف بكتاب نفحات القرآن.

٢- الاطّلاع على مثال من تفسير الشيخ مكارم الشيرازيّ.

المحتوى العلمي:

تمهيد:

عملية التفسير الموضوعيّ: هي عبارة عن الكشف المنهجي لموقف القرآن الكريم من موضوع معيّن من مواضيعه أو مقطعاً من مقاطعه(١)، وهي تمرّ بسلسلة من المراحل أهمّها: انتخاب موضوع من مواضيع القرآن، ثمّ تجميع الآيات عن هذا الموضوع، وتفسير الآيات على وفق ترتيب خاصّ ناظر إلى زمن نزول كلّ واحدة منها أو إلى خصوصيات أخرى، ثمّ استخراج الموضوع المحوري فيها، ثمّ المقارنة أو المقاربة الموضوعيّة بين مجموع تلك الآيات، ثمّ استخراج رؤية قرآنيّة من كلّ ذلك، كلّ هذا يدخل ضمن ما يصطلح عليه بالمراحل التي يقطعها المفسّر على وفق منهج التفسير الموضوعيّ(٢).

---

(١) علي سراقي، مقالة، التفسير الموضوعيّ مآزقه وإشكاليّاته/ عن تقريرات الشيخ محمود رجبي، مؤسّسة الإمام الخميني للتعليم، ١٣٨٣ هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

وجب علينا في هذه المحطّة أن نتعرّف خطوات بعض المفسّرين الكبار الذين مارسوا التفسير الموضوعيّ، ونخصّص وقفتنا هذه لتعرّف تفسير الشيخ مكارم الشيرازيّ الموضوعيّ والمراحل التي يطويها ويحقّقها من أجل اكتمال عملية تدوين التفسير الموضوعيّ.

الشيخ مكارم الشيرازيّ ونفحات القرآن:

تحرّك الشيخ في هذا الكتاب من منطلق بيان جميع المواضيع المتعلّقة بالعقيدة الإسلامية وبحثها من باب فلسفة المعرفة إلى مباحث المعاد والعدل والإمامة، وكذلك البحوث المتعلّقة بالحكومة والأخلاق الإسلامية في الآيات القرآنيّة. وقد شرع الأستاذ بأسلوبه السلس ومنهجه التفسيري بشرح معاني الآيات الكريمة وبيانها، ثمّ يبيّن الملحوظات المهمّة المستخلصة من فذلكة هذه الآيات وعلاقتها بالموضوع العقائدي محلّ البحث، وهكذا يأتي على بقية الآيات الكريمة

ويعدّ كتاب التفسير الموضوعيّ (نفحات القرآن) منهجاً جديداً وإبداعاً في دائرة العرض والبيان؛ وهو عبارة عن دورة كاملة في أصول العقائد والمعارف الاعتقادية والأخلاقية في القرآن الكريم، ومن الجدير بالذكر أن يكون هذا الكتاب - كما ذكر ذلك بعض أساتذة الحوزة العلميّة - كتاباً دراسياً في الحوزات العلمية[1].

لقد كتب الشيخ مكارم الشيرازيّ كتابه (نفحات القرآن) بمنهج التفسير الموضوعيّ، أي ليس على طريقة ترتيب الآيات والسور القرآنيّة؛ بل بترتيب موضوعات القرآن؛ ويقع هذا التفسير في عشرة مجلّدات ويتضمّن مسائل عقائدية ومعارف دينية في مجال العقائد من التوحيد إلى المعاد من خلال استنطاق الآيات الكريمة؛ إذ تمّ التحقيق والبحث في جميع الآيات التي تتحدّث عن التوحيد وعن صفات الله، والآيات التي تتعرّض إلى النبوّة العامّة والنبوّة الخاصّة، وهكذا جميع الآيات التي تشير إلى المعاد والإمامة والحكومة الإسلامية

---

(١) علي سراقي، مقالة، التفسير الموضوعيّ مآزقه وإشكاليّاته/ عن تقريرات الشيخ محمود رجبي، مؤسّسة الإمام الخميني للتعليم، ١٣٨٣ هـ ش.

وأمثال ذلك، - ولعلّ- هذا التفسير يمثّل فعلاً أفضل منبع ومصدر لفهم العقائد الإسلامية[1].

و نجد أنّ خطوات الشيخ في تفسيره الموضوعيّ (نفحات القرآن) هي عبارة عن:

١- تحديد الموضوع المبحوث عنه في القرآن.

٢- جمع الآيات التي تشكّل محاور الموضوع ومفاصله، وعرضها بالتسلسل وبنقاط مع تفسير مختصر لها.

مثال[2]:

الموضوع: موجبات دخول الجنّة في المنظور القرآنيّ.

لقد تحدّثت آيات كثيرة في القرآن الكريم عن أوصاف أهل الجنّة، كما حدّدت الأوصاف والأعمال التي توصل الإنسان إلى الجنّة والتنعّم بالمنزلة الرفيعة فيها.

وبهذا فقد بيّنت هذه الآيات المنظور الإسلامي في مسألة النجاة والسعادة الأبدية وتكامل الإنسان، ويمكن إجمال هذه الأوصاف بالنقاط الآتية:

١- الإيمان والعمل الصالح:

إنّ رأس المال للنجاة والسعادة وفتح أبواب الجنّة هو الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3]

٢- التقوى:

العامل الآخر من عوامل دخول الجنّة هو (التقوى)، فقد ذكرت آيات قرآنيّة كثيرة هذا

(١) السيرة الذاتية المباركة للشيخ مكارم الشيرازيّ، ص٤٥-٤٧.

(٢) الشيخ مكارم الشيرازيّ، نفحات القرآن، ج٦، ص١٥٣.

(٣) البقرة: ٨٢.

العامل، ومن جملتها ما ورد في سورة مريم بعد الإشارة إلى (جنّات عدن) وبعض من نعمها: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾(١).

٣- الإحسان:

الإحسان عامل آخر من عوامل الدخول في موضوع النعمة الإلهيّة، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المفهوم الواسع في آيات عديدة من جملتها الآية ٨٥ من سورة المائدة، فبعد أن أشارت هذه الآية إلى حال مجموعة من علماء أهل الكتاب الذين انقلبوا بعد سماعهم آيات القرآن الكريم وفاضت أعينهم بالدمع ممّا عرفوه من الحقّ، قال تعالى بصددهم:

﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

٤- الجهاد والشهادة:

إنّ كل مَن له أدنى اطّلاع على منطق القرآن والإسلام يعلم جيّداً بالمقام السامي والدرجة الرفيعة للمجاهدين والشهداء في الإسلام، فلقد وعد القرآن صراحة هذه الطائفة المضحّية بالجنّة، ومن جملة الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٣).

حقّاً إنّها لتجارة لا نظير لها، فالمشتري هو الله سبحانه وتعالى، والبائعون هم المؤمنون المجاهدون.

---

(١) مريم: ٦٣.

(٢) المائدة: ٨٥.

(٣) التوبة: ١١١.

(البضاعة): الأنفس والأموال التي وهبها الله لهم والثمن الذي يُدفع إليهم هو جنّة الخلد، وسند هذه المعاملة هو الكتب السماوية الثلاثة، فضلاً عن كل هذا هناك تبريك من قِبل المشتري للبائع.

ما أجملها من تعابير وما أروعها، وما أعظمها من معاملة رابحة مقابل متاع زائل وغير ثابت، وما أعظمه من ثمن مبارك وخالد، وما أكثره من مقدار اللطف والمحبّة في معاملة الله تبارك وتعالى هذه؟

وعن جابر بن عبدالله قال: (أنزلت هذه الآية على رسول الله وهو في المسجد ﴿إِنَّ الله...﴾ فكبّر الناس، فأقبلَ رجل من الأنصار ثانياً طرفي ردائه على عاتقه، فقال: يا رسول الله، أنزلت هذه الآية؟ قال: نعم، فقال الأنصاري: بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل).

ونُفيد من الآية السابقة أنّها لا تختصّ بالشهداء فحسب؛ بل إنّ هذه المعاملة تشمل المجاهدين في سبيل الله أيضاً.

ونلحظ في الآية تقدّم عبارة (يَقْتُلُونَ) على (يُقتَلونَ)، وهذا دليل على أنّ الهدف الرئيس من الجهاد هو القضاء على العدو لا الشهادة؛ وبناء على ذلك فإنّ الشهادة درجة رفيعة لا يبلغها إلاّ الخاصّة من أوليائهِ.

من هنا لا يمكن أن يكون الغرض من الجهاد هو الشهادة أبداً، وبتعبير أدقّ: الشهادة ليست هدفاً وإنّما هي وسيلة لتحقيق الهدف.

٥- نهي النفس عن الهوى:

من الأمور الاخرى التي هي من موجبات دخول الجنّة، الخوف من الله تعالى ونهي النفس عن الهوى، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

(١) النازعات: ٤٠- ٤١.

٦- السابقون إلى الإيمان:

من المعلوم أنّ ظهور أيّ دين جديد يقترن بمخالفة السنن والتقاليد الرائجة في ذلك المجتمع، ولاسيّما الدين الإسلامي الذي ظهر في محيط يؤمن بالخرافات، ومليء بأنواع المفاسد والسنن الباطلة الخاطئة.

فمن البديهي أن يكون السبق إلى الإيمان بمثل هذا الدين أمراً عسيراً للغاية ويحتاج إلى شهامة منقطعة النظير، فالسابقون للإيمان يتعرّضون عادة إلى أشدّ هجمات الجاهلين المتعصّبين، وبما أنّهم يشكّلون الأقلّية من المجتمع؛ لذا تكون أنفسهم وأموالهم في خطر دائماً، فضلاً عن ذلك يُعدّ هؤلاء القدوة الحسنة والأنموذج الأمثل للآخرين، وهم الوسيلة والعامل الرئيس في نشر تعاليم السماء في الأرض، فمن هنا يكون للسابقين في الإيمان امتياز كبير ودرجة رفيعة، وقد وعدهم الله تعالى وعداً قاطعاً بدخول الجنّة، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[1].

٧- الهجرة والجهاد:

الهجرة بمعنى الابتعاد عن بؤرة الكفر والشرك والظلم والمعاصي، فقد قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴾[2].

٨- الصبر والتحمّل عند الشدائد.

٩- الإيمان والاستقامة.

١٠- إطاعة الله ورسوله ﷺ.

١١- الإخلاص.

١٢- الصدق.

---

(١) الواقعة: ١٠- ١٢.

(٢) التوبة: ٢٠- ٢١.

١٣- تزكية النفس.

١٤- الإنفاق والاستغفار.

١٥- الخوف من الله.

١٦- التولّي والتبرّي.

١٧- الاهتمام بالصلاة.

خلاصة الدرس:

إنّ خطوات الشيخ في التفسير الموضوعيّ (نفحات القرآن) هي عبارة عن:

١- تحديد الموضوع المبحوث عنه في القرآن.

٢- جَمع الآيات التي تشكّل محاور الموضوع ومفاصله، وعرضها بتسلسل، وبنقاط مع تفسير مختصر لها.

الأسئلة:

س١: ما هي خطوات الشيخ مكارم الشيرازيّ في تفسيره الموضوعيّ؟

س٢: بماذا ينماز أسلوب الشيخ مكارم الشيرازيّ في التفسير الموضوعيّ؟

س٣: أذكر موضوعاً تناوله الشيخ مكارم الشيرازيّ في تفسيره؛ موضّحاً الخطوات وشارحاً له ومستشهداً عليه.

س٤: من أيّ منطلق انطلق الشيخ مكارم الشيرازيّ في تأليف التفسير الموضوعيّ؟

س٥: أكتب تعريفاً بكتاب (نفحات القرآن) الذي هو التفسير الموضوعيّ للشيخ مكارم الشيرازيّ.



الدرس الثالث عشر: خطوات المفسّر الموضوعيّ (القسم الثالث)

(خطوات المفسّر الموضوعيّ، الشيخ جعفر السبحانيّ)

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: تعرّف خطوات تدوين التفسير الموضوعيّ عند الشيخ جعفر السبحانيّ.

أهداف ثانوية:

١- التعريف بكتاب مفاهيم القرآن.

٢- الاطّلاع على مثال من تفسير الشيخ جعفر السبحانيّ.

المحتوى العلمي:

تمهيد عن التفسير الموضوعيّ للشيخ جعفر السبحانيّ (تفسير مفاهيم القرآن): هو تفسير موضوعيّ تأسيسي وتأصيلي، وبداية مشروع لانتزاع المفاهيم الإسلامية من القرآن الكريم مباشرة؛ لكي تتوحّد الأمّة بوساطتها، ولا تضيع علينا المفاهيم كما ضاعت كثير من مصاديقها. وعليه فهو يبدأ بدراسة الآيات لانتزاع المفاهيم الأساسية في عقيدة المسلم.

يقول سماحة الشيخ السبحانيّ في مقدّمة كتابه: (لقد آثرنا دراسة الجانب العقائدي من هذه المواضيع الكثيرة جدّاً؛ لأهمّيته في ترسيم معالم الإيمان وترسيخه في حياة الإنسان. وتؤلّف قضايا التوحيد والشرك حجر الأساس في العقيدة الإسلامية، بل حجر الأساس في كلّ الشرائع السماوية.

فبإلقاء نظرة سريعة على الآيات القرآنيّة يتّضح أنّ القرآن الكريم بذل حيال مسألة التوحيد الأُلوهيّ والربوبيّ من العناية ما لم يبذل مثلها حيال أيّة مسألة أُخرى من المسائل

العقائدية والمعارف العقلية؛ بل حتى قضية (المعاد والبعث) في يوم القيامة التي تعدّ من القضايا المهمّة جدّاً في نظر القرآن، بحيث لا يمكن لأيّ دين أن يتجلّى في صورة (عقيدة سماوية) ومنهج إلهيّ من دون الاعتقاد بها، كما لا يمكن لذلك المنهج أن ينفذ إلى الأعماق والأفئدة من دونها.

ويجدر بالذكر أنّ عناية القرآن تركّزت أساساً على إبلاغ (أصول الدين) وبيانها، وبذر بذورها في الأفئدة والعقول أكثر من العناية ببيان المسائل الفرعية العملية.

ويشهد على ذلك: أنّ الآيات التي وردت في القرآن عن موضوع (المعاد) تتجاوز (٢٠٠٠) آية، في حين يقارب مجموع الآيات الواردة عن الأحكام المبيّنة لفروع الدين (٢٨٨) آية، أو يتجاوزها بقليل.

وهذا هو بذاته يكشف عن الاهتمام الواسع والعناية الفائقة التي يوليها القرآن الكريم للمسائل الفكرية والقضايا الاعتقادية.

وعلى هذا الأساس خصّصنا الجزء الأوّل للتوحيد والشرك بمختلف مراتبهما، ولمّا انتهى بحثنا في آخر الجزء الأوّل إلى التوحيد في الحكومة التي هي لله سبحانه فحسب، آثرنا أن نركّز في الجزء الثاني على معالم الحكومة الإسلامية، ثمّ تدرّجنا في البحث في سائر الأجزاء إلى الجزء العاشر الذي اهتمّ بالعدل والإمامة، وما يمتّ لهما بصلة)[1].

والمهمّ أنّ الشيخ السبحانيّ يمتلك شكلين من الخطوات في تفسيره الموضوعيّ، وهما:

أوّلاً: الشكل العامّ: وهو أن يفسّر القرآن وينتزع المفهوم بما يأتي من الخطوات:

١- تحديد عنوان الموضوع.

٢- البحث عن الآيات الخاصّة بهذا الموضوع (وتجميعها).

٣- تصنيف الآيات إلى مجموعات من أجل إلغاء التكرار والترادف والتركيز في المعاني

---

(١) السبحاني، مفاهيم القرآن، ج١، ص١١.

المستقلّة (من أجل مفاعلتها للخروج من مجموعها بمفهوم محدّد).

٤- البدء بعملية التأمّل والشرح لكلّ مجموعة أو صنف من الآيات الكريمة، ولو بوساطة طرح أسئلة عنها ومحاولة استظهار الجواب منها، أو الإجابة عن أسئلة مقدّرة، أو اشكالات معاصرة تصاحب عملية ولادة المفهوم القرآنيّ وظهوره، أي خلال عملية التفسير الموضوعيّ للمجموعة.

ثانياً: الشكل الخاصّ: ويستخدمه تبعاً لتنوّع الموضوع المدروس، ففي تفسيره للقصص القرآنيّ نجده يتّبع الخطوات الآتية:

١- يقدّم تقريراً عن الآيات والسور التي اشتملت على أسماء الأنبياء.

٢- يقسّم حياة النبيّ (أيّ نبيّ كان في محلّ الدراسة) إلى محاور مختلفة.

٣- يجمع الآيات الخاصّة تحت عنوان معيّن ويطلق عليها اصطلاح (آيات الموضوع)، وقد يدرج بعض الآيات التي استشهد بها في مقام آخر.

٤- التفسير الموضوعيّ للآيات: وفي هذه المرحلة يغوص المفسّر في عملية تحليل الموضوع وتركيبه وتبيينه؛ وذلك بوساطة ما يأتي:

أ- بيان المعنى اللّغويّ.

ب - بيان الآيات وتفسيرها.

ج - طرح أسئلة ومحاولة الإجابة عنها.

د- الإجابة عن بعض الإشكالات.

ملحوظة: ينماز الشيخ المفسّر بانسيابية في مسيرته التفسيرية بانسجام وتمرحل منطقيّ، وعادة ما يفصل بين الأبحاث القرآنيّة والروائية والكلامية وغيرها[1].

---

(١) شهربانو خويشوند، روش شناسي مقايسه ونقد وتفسير موضوعي، رسالة ماجستير/ جامعة الإمام الخميني، ص٤٦.

أمثلة(١) من كتاب (مفاهيم القرآن) للشيخ جعفر السبحانيّ:

المثال الأوّل: الآيات الدالّة على التوحيد في التقنين(٢):

إنّ الآيات التي تَعتبر حقّ التقنين خاصّاً بالله تعالى، وهي التي لا تأذن لأحد بأن يتعرّض إلى هذا المقام، كائناً مَن كان، تقع على أصناف، إليك بيانها:

الصنف الأوّل:

تدلّ الآيتان الآتيتان على أنّه لا يحقّ لأحد غير الله أن يسنّ القوانين، معلّلة بأنّ مثل هذا الحقّ إنّما هو لمن يملك أمر الحياة البشرية برمّتها، الذي هو نوع من السلطة عليهم، وليس هو إلاّ الله تعالى دون سواه، قال سبحانه:

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

لقد وردت جملة ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في آيتين من سورة يوسف، إحداهما الآية السابقة، والأُخرى في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(٤).

غير أنّ المقصود من حصر الحاكمية بالله سبحانه في الآية الأولى هو الحاكمية التشريعية،

---

(١) المثالان المذكوران هنا هما من الشكل العام، اما امثلة الشكل الخاص فيمكن مراجعة كتاب (الامثال في القرآن، الشيخ السبحاني)

(٢) السبحاني، مفاهيم القرآن، ج١، ص٦١٣ (مع التلخيص).

(٣) يوسف: ٤٠.

(٤) يوسف: ٦٧.

كما أنّ المراد من حصرها به في الآية الثانية هو الحاكمية التكوينية.

والدليل على ذلك هو مضامين الآيتين، فالآية الأولى تهدف إلى أنّه لا يحقّ لأحد أن يأمر وينهى ويحرّم ويُحلّ سوى الله سبحانه، ولأجل ذلك قال - بعد قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾(١) - ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾(٢)، فكأنّ أحداً يسأل عن أنّه إذا كان الحكم مختصّاً به سبحانه والتشريع خاصّاً به، فبماذا أمر الله في مورد العبادة؟ فأجاب على الفور: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

وأمّا الآية الثانية، فهي تهدف إلى أنّ يعقوب لا يملك لأبنائه أمراً، ولا يضمن لهم في صفحة الوجود شيئاً، فأُمور الكون كلّها بيده، ولابد من التوكّل عليه رغم معرفة أسباب الظفر بالمطلوب؛ ولأجل ذلك بعد ما عرّفهم أسباب الظفر بقوله: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾(٣) عاد يذكّرهم بأنّه لا يضمن - مع ذلك - لهم شيئاً بقوله: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾(٤).

وأوضح دليل على كون المراد من الحكم هو الحكم التكويني، أمره بإيكال الأُمور إليه في مجاري الحياة بقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾(٥).

وعلى الجملة، فالآية الأولى من الآيتين صريحة في اختصاص التشريع بالله سبحانه، لا يتردّد في مضمونها مَن له إلمام بمعارف القرآن.

---

(١) الانعام: ٥٧.

(٢) يوسف: ٤٠.

(٣) يوسف: ٦٧.

(٤) يوسف: ٦٧.

(٥) يوسف: ٦٧.

الصنف الثاني:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١). وغيرها.

ولو تأمّل القارئ الكريم في مضامين هذه الآيات لتبيّن له بوضوح أنّ الله تعالى منذ أن بعث الرسل والأنبياء لم يأذن لأحد في أن يشرّع لنفسه ولا لغيره قانوناً؛ لقصور علم البشر، وضآلة معلوماته، ولذلك أنزل في كل عصر أفضل ما يناسبه من الأحكام والقوانين.

فقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾(٢) إشارة إلى أنهم يخالفون ما قرّر الله لهم من الأحكام.

وقوله: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ يُراد منه أنّهم كانوا يحرّمون حلال الله ويحلّون ما حرّمه.

---

(١) المائدة: ٤١- ٤٤.

(٢) المائدة: ٤١.

وأبلغ من كلّ ذلك قوله:

﴿ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾(١).

وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾(٢).

وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(٣).

وقوله: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ ﴾(٤).

وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾(٥).

وقوله: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾(٦).

وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾(٧).

فهذه المقاطع توضّح لنا أنّ ممنوعيّة التقنين على البشر لم تكن في الإسلام فحسب، بل كانت في كل الشرائع السماوية الماضية، وأنّ حقّ التقنين حقّ منحصر بالله فحسب.

ثمّ هل هناك عبارة أكثر صراحةً في انحصار حقّ التقنين في الله وانتفائه عن غيره، من قوله تعالى:

أ- ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾(٨).

---

(١) المائدة: ٤٣.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) المائدة: ٤٥.

(٥) المائدة: ٤٥

(٦) المائدة: ٤٧.

(٧) المائدة: ٤٧.

(٨) المائدة: ٤٨.

ب - ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1].

إجابة عن سؤال:

يمكن أن يقال: إنّ الرجوع إلى غير الحكم الإلهي إنّما لا يجوز إذا كان هناك حكم إلهي، أمّا إذا لم يكن هناك حكم للهّ في مورد من الموارد، فلمَ لا يجوز حينئذٍ لفرد أو لشورى أن يسنّ قانوناً، ويجعل حكماً لكيلا تقف حركة الأُمّة، ولا يتعرقل تقدّمها؟

إنّ السؤال إنّما يتوجّه إذا وجد مورد مثلما قاله، غير أنّ كون المنهاج إلهياً يوجب كونه في غاية الكمال والجامعية، ولذلك لا مجال لتدخّل أيّ أحد في أمر التشريع، وبعبارة أخرى: إنّ القرآن يقسّم القوانين الحاكمة على البشر على قسمين: إلهي وجاهلي، وبما أنّ كلّ ما كان من صنع الفكر البشري لم يكن إلهياً، فهو بالطبع يكون حكماً جاهلياً.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة الهامّة الإمام محمّد بن علي الباقر، إذ قال:

(الحكم حكمان: حكم الله، وحكم أهل الجاهلية، فمَن أخطأ حكم الله حكمَ بحكم أهل الجاهلية)[2].

إنّ القرآن الكريم يعتبر نفسه مبيّناً لكلّ ما يحتاج إليه البشر في تنظيم حياته ومعيشته، إذ يقول:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

وفي آية أخرى يجعل بيانه وتوضيح مقاصده على عاتق الوحي، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[4].

---

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ١٠١/ ٣٦٧.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) القيامة: ١٨- ١٩.

وفي آية أُخرى يَعدُّ القرآنُ النبيَّ الأكرم مبيّناً له، لا مقتصراً على القراءة، كما يقول:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

إنّ للنبي - بحكم هذه الآية والآيات الأُخر - وظيفتين:

الأولى: تلاوة القرآن وقراءته على الناس بحسبما نزل به الروح الأمين على قلبه، قال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(٣).

الثانية: بيان أهدافه ومقاصده، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾، ولا منافاة بين أن يكون بيان القرآن على عاتق الوحي، كما يُفيدُ قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ وبين أن يكون بيانه من وظيفة النبي؛ لأنّ ما يبيّنه الرسول مستند إلى الوحي والتعليم الإلهي.

كما أنّه لا منافاة بين أن يكون النبي مبيّناً لمقاصد القرآن، وأن تكون طائفة من الآيات معلومة عند أهل اللسان، مع قطع النظر عن بيان النبي ﷺ، كيف لا، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(٥)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٦).

نعم، لا منافاة بينهما؛ لأنّ القرآن مشتمل بالضرورة على المجملات في كثير من آيات

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) الإسراء: ١٠٦.

(٣) القيامة: ١٦- ١٩.

(٤) النحل: ١٠٣.

(٥) الشعراء: ١٩٣- ١٩٥.

(٦) القمر: ١٧.

الأحكام، فما هو المبين راجع إلى غير هذه المجملات كالصلاة والصوم وغيرهما ممّا بيّنها الرسول بأعماله وأقواله، وقال: (صلّوا كما رأيتموني أُصلّي) مثلاً، كما أنّه لا منافاة بين أن يكون بُعد من أبعاد آية واحدة واضحاً جليّاً، في حين يكون البعد الآخر منه خفيّاً محتاجاً إلى بيان الرسول وخلفائه ﷺ.

وبذلك يظهر أنّه لا منافاة بين هذه الطوائف من الآيات التي نقلنا نماذج منها.

الصنف الثالث:

إنّ الآيات في هذا الصنف تدلّ - بوضوح تامّ - على أنّ الأنبياء عامّة ورسول الإسلام خاصّة بُعثوا مع نظام إلهيّ.

وإليك فيما يأتي الآيات المرتبطة بهذا الصنف:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1].

إنّ المقصود بـ ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ هو شريعة الإسلام التي ذُكرت في آية أُخرى بلفظة (الشريعة)؛ إذ قال الله سبحانه: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾[2].

كما أنّ لفظة (أقْوَم) التي هي صيغة التفضيل من (القائم)، كناية عن صحّة أحكام القرآن واستقامتها قاطبة، بحيث تنطبق مع الطبيعة وتكون معها على وفاق كامل.

الصنف الرابع:

في هذا الصنف نجد الآيات تحذّر من التحاكم إلى الطغاة والأخذ بقوانينهم، قال الله سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) الإسراء: ٩.

(٢) الجاثية: ١٨.

وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(١).

بل إنّ القرآن يحذّر المجتمع الإسلامي أساساً من أيّ ركونٍ إلى النظم الطاغوتية والابتعاد عن سنن الله وشرائعه، إذ يقول:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾(٢).

أجل، إنّ القرآن - كما رأيت - يحذّر من الركون إلى الطاغوت والميل إليه، فضلاً عن طاعته وتسليم المقدّرات إليه.

إنّ هذه الحقيقة تتجلّى بلحاظ الآيتين الأوليين المذكورتين في مطلع هذا الصنف، فالآية الأولى تأمر باتّباع الله ورسوله وأُولي الأمر في المجتمع الإسلامي، وأنّه إذا حدث أمرٌ ما يجب ردّه إلى الله والرسول لا إلى غيرهم، ثمّ يندّد بالذين يتحاكمون إلى الطاغوت رغم ادّعائهم الإيمان بالكتب السماوية.

الصنف الخامس:

وهي الآيات التي تذمّ اليهود والنصارى؛ لاتّخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، كقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾(٣).

---

(١) النساء: ٥٩- ٦٠.

(٢) النساء: ٥١- ٥٢.

(٣) التوبة: ٣١.

كيف كانوا يتّخذون رهبانهم وأحبارهم أرباباً، هل كانوا يعبدونهم؟ كلا، بل كانوا يعطونهم حقّ التشريع الذي هو من الشؤون الإلهية، فإذا أحلّ الرهبان والأحبار لهم شيئاً أو حرّموا اتّبعوهم في ذلك.

وقد أخرج الكليني، عن الإمام الصادق في تفسير هذه الآية أنه قال: (والله ما صاموا لهم، ولا صلّوا لهم، ولكن أحلّوا حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم)[1].

الصنف السادس:

تحثّ آيات هذا الصنف على ألاّ يتقدّم المؤمنون على الله ورسوله وعليهم اتّباعه على ما يأمر وينهى، إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[2].

وقد ورد في المأثور أنّه أمر بالإفطار في السفر، إلاّ أنّ بعضهم تمرّدوا عليه فسمّاهم رسول الله عصاة.

ولأجل هذا يستنكر القرآن الكريم بشدّة - في هذه السورة اتّباع طلب النبي- لآراء الناس ومشتهياتهم، فيقول: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾[3].

أي: لأصابكم بسبب ذلك العنت والنصب.

ماذا يراد من الشرك في التشريع؟

إذا وقفت على مضامين هذه الآيات، وعرفت أنّ الله تعالى لم يعطِ زمام التشريع لأحد من عباده، تقف على أنّ العدول عنه عدول عن جادّة التوحيد وتورّط في الشرك.

إنّ التقنين والتشريع من الأفعال الإلهية التي يقوم بها سبحانه فحسب، فلو أنّ أحداً اعتقد بأنّ غير الله يملك هذا الحقّ إلى جانب الله، وأنّ الحبر اليهودي أو الراهب النصراني

(١) الكليني: أصول الكافي: ١/ ٥٣.

(٢) الحجرات: ١.

(٣) الحجرات: ٧.

مثلاً أو مَن يشاكلهما له الحقّ في أن يسنّ للناس القوانين، ويعيّن من لدن نفسه لهم الحلال والحرام، فإنّه اتّخذ سوى الله ربّاً، وبذلك نسب فعل الله إلى غيره، وتجاوز حدّ التوحيد بتعميم هذا الحقّ على غيره سبحانه، وكان بذلك مشركاً.

فلو اعتقد أحد بأنّ لغيره سبحانه حقّ التقنين وأنّ بيده زمام التحليل والتحريم ومصير العباد في حياتهم الاجتماعية والفردية، فقد اتّخذه ربّاً أي مالكاً لما يرجع إلى عاجل العباد وآجلهم، فلو خضع مع هذا الاعتقاد أمامه صار خضوعه عبادة، وعمله شركاً.

سؤال وإجابة:

إذا ثبت أنّ زمام التشريع بيده سبحانه دون سواه فكيف يفسّر ما ورد في الأحاديث من:

١- أنّ الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين، ليكون المجموع عشر ركعات، فأضاف رسول الله إلى الركعتين ركعتين، وإلى المغرب ركعة.

٢- أنّ الله فرض في السنّة صوم شهر رمضان، وسنَّ رسول الله صوم شعبان وثلاثة أيام من كلِّ شهر.

٣- أنّ الله حرّم الخمر بعينها، وحرّم رسول الله ﷺ المسكر من كلّ شراب.

٤- أنّ الله فرض الفرائض في الإرث ولم يقسّم للجد شيئاً، ولكنّ رسول الله فرَض له السدس.

يمكن أن يقال: إنّ الله سبحانه أدّب رسوله فأحسن تأديبه، وعلّمه مصالح الأحكام ومفاسدها، وأوقفه على ملاكاتها ومناطاتها، ولّما كانت الأحكام تابعة لمصالح ومفاسد كامنة في متعلّقاتها، وكان النبي ﷺ بتعليمٍ منه سبحانه واقفاً على المصالح والمفاسد على اختلاف درجاتها ومراتبها، وكان له أن ينصّ على أحكامه سبحانه من طريق الوقوف على عللها وملاكاتها، ولا يكون الاهتداء إلى أحكامه سبحانه من طريق التعرّف على عللها بأقصر من الطرق الأخرى التي يقف بها النبي على حلاله وحرامه، وإلى هذا يشير الإمام أمير

المؤمنين بقوله:

(عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية: فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل).

غير أنّ اهتداءه إلى الأحكام وتنصيصه بها من هذا الطريق قليل جدّاً لا يتجاوز عمّا ذكرناه، وبذلك يُعلم حال الأئمّة المعصومين في هذا المورد.

وقد يجاب عنه: إنّ عمل الرسول لم يكن في هاتيك الموارد سوى مجرّد طلب وقد نفذ الله طلبه، لا أنّه قام بنفسه بتشريع وتقنين، ويشير إلى ذلك قوله: **(فأجاز الله عزّ وجل له ذلك)**.

ولو أنّ النبي كان يمتلك زمام التشريع وكان قد فوّض إليه أمر التقنين - على نحو ما تفيد كلمة التفويض - إذاً لما احتاج إلى إذنه وإجازته المجدّدة، ولما كان للجملة المذكورة أيّ معنى.

المثال الثاني: في مظاهر العدل الإلهي في عالم الخلق آيات الموضوع[١].

١- ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[٢].

٢- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾[٣].

٣- ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾[٤].

إنّ لعدله سبحانه مظاهر في عالم الخلق والتشريع، وسنعرض في هذا الفصل مظاهر عدله في عالم الخلقة.

---

(١) السبحاني، مفاهيم القرآن، ج١٠، ص٢٦ (مع التلخيص).

(٢) لقمان: ١٠.

(٣) فاطر: ٤١.

(٤) الرحمن: ٧.

١- السماوات ورفعها بغير عمد:

يقول سبحانه في هذا الصدد: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾(١).

إنّ رفع صرح هذا البناء الشامخ دون الاستعانة بدعائم مرئيَّة يكشف عن تناغم دقيق في عالم الخلقة، ولولاه لتداعت أركان العالم وانهارت، وهذا النظام الرائع تقاسمته قوّتا الجاذبية والطاردة (النابذة)، وفي ظلّ التعادل القائم بينهما انتظمت حركة النجوم والكواكب والمجرّات في مساراتها.

فالجاذبية قانون عام جارٍ على جميع الأجسام في هذا العالم، وهي تتناسب عكسياً مع الحدّ الفاصل بين الجسمين؛ إذ تتعاظم كلما تضاءلت المسافة، وتتضاءل كلما ازدادت الفاصلة، فلو دارت رحى النظام الكوني الدقيق على قوّة الجاذبية فحسب لارتطمت الكواكب والنجوم بعضها ببعض ولتداعى النظام السائد، ولكن في ظلّ قانون الطرد يحصل التعادل المطلوب، وتنشأ قوّة الطرد تلك من الحركة الدورانية للأجسام.

ومهما يكن من أمر، ففي ظل هاتين القوّتين تبقى الملايين من المنظومات الشمسية والمجرّات معلّقة في الفضاء من دون عَمَد، وتحول دون سقوطها وفنائها، وإلى هذه الحقيقة يشير القرآن الكريم ويقول: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾(٢).

وتتضح دلالة الآية بلحاظ أمرين:

الأوّل: إنّ قوله: (ترونها) وصف لـ(عَمَد)، وهي جمع عمود.

الثاني: إنّ الضمير في (ترونها) يرجع إلى الأقرب الذي هو (عمد)، لا إلى السماوات التي هي أبعد، ومعنى الآية: أنّه سبحانه رفع السماوات من دون أعمدة مرئية، وهو لا ينفي العمود بتاتاً، بل إنّما ينفي العمود المرئي، ولازم ذلك وجود العمد في رفع السماوات من دون

(١) لقمان: ١٠.

(٢) الرعد: ٢.

أن يراها البشر، وهذا هو المعنى الذي اختاره ابن عبّاس وغيره.

وهو الظاهر ممّا رواه الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، فإنّه عليه السلام قال في تفسير الآية: (**أليس الله يقول: بغير عمد ترونها؟**)، فقلت: بلى، قال: (**ثمَّ عَمَد لكن لا ترونها**)(١).

ويؤيّده ما روي عن الإمام علي أنّه قال: (**هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض، مربوطة كلّ مدينة إلى عمود من نور**)(٢).

ورواه الطريحي أيضاً، لكن قال: (**عمودين من نور**) مكان قوله: (**عمود من نور**)(٣).

ولعلّ المراد من العمودين هما قوّتا الجاذبية والطاردة.

إنّ الكتاب الكريم صاغ الحقيقة المكتشفة من (نيوتن) بعبارة يسهل فهمها على عامّة الناس، وقال: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

وقد أشار سبحانه في غير واحد من الآيات، أنّه سبحانه هو الممسك للسماوات من الزوال، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾(٤).

وكونه سبحانه هو المُمسِك لا يمنع من وجود علل طبيعية حافظة لسقوط السماوات وزوالها، فقد جرت سنّته سبحانه على تدبير العالم من خلال العلل الطبيعية التي هي من سننه سبحانه وجنوده الغيبيّين.

وأشار الإمام علي بن أبي طالب في بعض خطبه إلى خلق الأرض، وقال: (**أرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوام، ورفعها بغير دعائم**)(٥).

---

(١) تفسير البرهان مج ٢/ ٢٧٨.

(٢) سفينة البحار: ٨/ ١٩٥.

(٣) الطريحي، مجمع البحرين: مادة كوكب.

(٤) فاطر: ٤١.

(٥) نهج البلاغة تحقيق محمد عبده، ٢/ ١٢٣.

وعلى كلّ تقدير؛ فالتوازن الموجود في خلق السماوات والأرض هو مظهر من مظاهر عدله في عالم الخلقة.

٢- الجبال وحركاتها:

وليس رفع السماوات وإبداعها وتنظيم حركاتها هو الوحيد في كونه مظهراً لعدله سبحانه في التكوين، بل إبداع الجبال وإيجادها مظهر آخر من مظاهر التوازن والتعادل في الخلقة.

يقول سبحانه: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[2].

إنّ الرواسي التي استخدمها القرآن هي جمع (راسية)، والمراد منها (الأَنجَرEngar) التي هي مرساة السفينة، فللجبال دور المرساة، فكما أنّها تحول دون اضطراب السفينة وتقاذفها من قِبل أمواج البحر العاتية، فهكذا الجبال لها دور في تنظيم حركة الأرض.

وإلى هذه الحقيقة يشير الإمام أمير المؤمنين في بعض خطبه، ويقول: (وتّد بالصُّخُور مَيَدَانَ أرضه)[3].

وقال أيضاً: **(وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها)**[4].

٣- الحياة وتوازنها الدقيق:

إنّ من مظاهر عدله سبحانه وجود الحياة في الأرض، وهي رهن توفّر الظروف المناسبة لها، مثلاً: إنّ الفاصلة الدقيقة بين الشمس والأرض هيّأت أجواءً مناسبةً لنمو الخلايا

---

(١) النحل: ١٥.

(٢) النبأ: ٧.

(٣)نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

(٤) نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد: ٦/ ٤٣٧.

ورشدها، وهذه الخلايا ما كان لها أن تنمو لو طرأ على تلك الفاصلة أدنى تغيير. وهذا يرشدك إلى توازن دقيق للغاية بين السماء والأرض.

واعطف نظرك إلى النباتات والحيوانات؛ فإنّ حياة الحيوان رهن استنشاق غاز الأوكسجين الذي تُولّده النباتات، وحياة النبات رهن استنشاق غاز ثاني أوكسيد الكاربون الذي تُولّده الحيوانات من خلال تنفّسها، فالتوازن الموجود بين الإنتاج والاستهلاك مهّد المناخ المناسب لحياة كلّ من النبات والحيوان، فلو كانت الأرض محتضنة للحيوان فقط أو للنبات فقط لما قامت للحياة قائمة.

فالتوازن القائم بين الغازين على وجه البسيطة مظهرٌ من مظاهر عدله سبحانه، يقول سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[1].

خلاصة الدرس:

يقوم الشيخ السبحانيّ بتفسير القرآن وينتزع المفهوم عبر ما يأتي من الخطوات:

١- تحديد عنوان الموضوع.

٢- البحث عن الآيات الخاصّة بهذا الموضوع (وتجميعها).

٣- تصنيف الآيات إلى مجموعات من أجل إلغاء التكرار والترادف والتركيز في المعاني المستقلّة (من أجل مفاعلتها للخروج من مجموعها بمفهوم محدّد).

٤- البدء بعملية التأمّل والشرح لكلّ مجموعة أو صنف من الآيات الكريمة، ولو من خلال طرح أسئلة عليها ومحاولة استظهار الجواب منها، أو الإجابة عن أسئلة مقدّرة، أو إشكالات معاصرة تصاحب عملية ولادة المفهوم القرآنيّ وظهوره، أي في أثناء عملية التفسير الموضوعيّ للمجموعة.

---

(١) لقمان: ١٠.

الأسئلة:

س١ : اتخذ الشيخ السبحانيّ شكلين من الخطوات، وضّحهما.

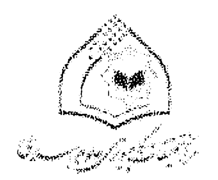
س٢ : كيف قسّم الشيخ السبحانيّ أبحاثه في كتاب (مفاهيم القرآن)؟

س٣: ما هي مميّزات الشيخ السبحانيّ التفسيرية؟

س٤: اعتمد الشيخ السبحانيّ في مرحلة التفسير الموضوعيّ للآيات على خطوات، أذكرها.

س٥: أذكر ثلاثاً من الآيات الدالّة على التوحيد في التقنين.

س٦: أذكر ثلاثاً من الآيات دالّة على مظاهر العدل الإلهي في الخلق.



الدرس الرابع عشر: خطوات المفسّر الموضوعيّ (القسم الرابع)

(خطوات المفسّر الموضوعيّ، السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر قدس سره)

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: تعرّف خطوات تدوين التفسير الموضوعيّ عند الشهيد الصدر الأوّل قدس سره.

أهداف ثانوية:

١- التعريف بتفسير الصدر الأوّل قدس سره في كتاب المدرسة القرآنيّة.

٢- التعريف بخصوصيات تفسير الصدر الأوّل قدس سره.

٣- الاطّلاع على مثال من تفسير الشهيد الصدر الأوّل قدس سره.

المحتوى العلمي:

ولأجل أن نكون على بصيرة كافية في فهم التفسير الموضوعيّ نشير إلى المعاني الثلاثة للموضوعية التي ذكرها الشهيد السيد محمّد باقر الصدر وهو الذي اهتمّ كثيراً بالتفسير الموضوعيّ ودعا إليه بقوّة. فقد ذكر أنّ الموضوعيّة تستعمل هنا في ثلاثة معانٍ:

١- الموضوعيّة في مقابل الذاتية (و الموضوعيّة بهذا المعنى عبارة عن الأمانة والاستقامة في البحث).

٢- الموضوعيّة بمعنى أن يبدأ الباحث من (الموضوع) الذي هو الواقع، ويعود إلى القرآن الكريم لمعرفة ما يطرحه القرآن تجاه هذا الواقع، فيركّز المفسّر نظره في موضوع من المواضيع ويستوعب ما أثارته أبحاث الإنسان وما قدّمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ، ثمّ يأخذ النصّ القرآنيّ... ويبدأ معه

حواراً، فالمفسّر يسأل والقرآن يجيب، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح.

وقد يسمّى هذا بالمنهج التوحيدي، بلحاظ أنّه يوحّد بين التجربة البشرية والقرآن الكريم، لا بمعنى أنّه يحمّل التجربة البشرية على القرآن، بل بمعنى أنّه يوحّد بينهما في سياق واحد لكي يستخرج - نتيجة هذا السياق - المفهوم القرآنيّ الذي يمكن أن يحدّد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية.

٣- الموضوعيّة بمعنى ما يُنسب إلى الموضوع الذي يختاره المفسّر ليجمع الآيات التي تشترك في التعرّض لذلك الموضوع، فيفسّرها ويحاول استنتاج رؤية قرآنيّة فيما يخصّ ذلك الموضوع (ويمكن أن يسمّى مثل هذا المنهج منهجاً توحيدياً أيضاً باعتبار أنّه يوحّد بين هذه الآيات ضمن مركب نظري واحد). يقول السيد الشهيد ﷺ: الموضوعيّة هنا بمعنى أن يبدأ من الموضوع وينتهي إلى القرآن، هذا الأمر الأوّل. الأمر الثاني: أن يختار مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد يقوم بعملية توحيد بين مدلولاتها، من أجل أن يستخرج رؤية قرآنيّة شاملة بالنسبة إلى ذلك الموضوع[1].

وعندما نرجع إلى هذه المعاني الثلاثة للموضوعية يتّضح أنّ المعنى الأوّل خارج عن البحث؛ لأنّها حالة مفروضة أو مطلوبة من كلّ باحث ولا تختصّ بمنهج دون منهج. ونلحظ أنّ السيد الشهيد الصدر ﷺ تبنّى منهج التفسير الموضوعيّ، الموضوعيّة بالمعنى الثاني. وذلك بخلاف اعتماد الشيخ السبحانيّ المنهج الموضوعيّ بالمعنى الثالث من خلال عدة دراسات قرآنية له.

كما يمكن أن يقال: اختار السيد الشهيد الصدر التفسير التوحيدي بلحاظ أمرين، هما:

الأوّل: أنّ (المفسّر التجزيئيّ دوره في التفسير على الأغلب سلبي، فهو يبدأ أوّلاً بتناول

(١) السيد محمّد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة، الدرس الثاني، ص٣٦.

النصّ القرآنيّ المحدّد دون أيّ افتراضات وأطروحات مسبقة، ودور النصّ القرآنيّ في مثل عملية التفسير هذه دور المتحدّث، ودور المفسّر هو دور الإصغاء والتفهّم، وهذا ما نسمّيه بالدور السلبي، وخلافاً لذلك المفسّر التوحيدي و الموضوعيّ، كأنّه لا يبدأ عمله من النصّ، بل من واقع الحياة، ويبدأ مع النصّ القرآنيّ حواراً على شكل سؤال وجواب، فالمفسّر في ضوء الحصيلة التي جمعت من خلال التجارب البشرية يسأل والقرآن يجيب، ومن هنا كانت عملية التفسير الموضوعيّ عملية حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليست مجرّد استجابة سلبية).

والأمر الآخر: هو أنّ (التفسير الموضوعيّ يتجاوز التفسير التجزيئيّ خطوة؛ لأنّ التفسير التجزيئيّ يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنيّة الكريمة، بينما التفسير الموضوعيّ تطلّع إلى ما هو أوسع من ذلك، حيث نجده يحاول أن يصل إلى مركّب نظري قرآني، وهذا ما نسمّيه بلغة اليوم بالنظرية)[1].

بعد أن يختار السيد الشهيد محمّد باقر الصدر الاتجاه الموضوعيّ للاعتبارات المتقدّمة يكون قد أسّس لشرعية الرؤى التي سيخرج بها من هذا التفسير، وأهمّ هذه الرؤى هي رؤية السنن التاريخية في القرآن.

ومن الملحوظ أنّنا نجد النزعة الواقعية في فكر السيّد الصدر؛ فعندما طرح الصدر فكرة التفسير الموضوعيّ كان يريد من ذلك أن يحلّ مشكلةً في الواقع، حيث يقول: (فلنذهب إلى الواقع لنسأله عن مشكلاته وعن أزماته ومعضلاته، ثمّ نأخذ هذه المشكلة ونحملها - بعد وعيها وفهمها جيّداً - إلى النصّ، فنلقيها عليه، لنسأله وننتظر ماذا يجيب)[2].

يقول الشيخ الدكتور عبد الجبّار الرفاعي: إنّه يمكن استخلاص خطوات التفسير

(١) محمد باقر الصدر المدرسة القرآنية: ٣٠.

(٢) الشيخ حيدر حب الله، الشهيد الصدر والنظريات القرآنيّة الجديدة، حوار، أجرى الحوار: شبكة إيكنا العالميّة، نشر عام ٢٠٠٩م.

الموضوعيّ تبعاً لرؤية الشهيد الصدر بالآتي:

١- انتخاب موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعيّة أو الكونية.

٢- استقراء كلّ ما يتّصل بهذا الموضوع في القرآن الكريم من آيات.

٣- استيعاب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني عن ذلك الموضوع من مشاكل، وما قدّمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة، ومن نقاط فراغ، أي البدء من واقع الحياة البشرية.

٤- استخلاص أوجه الارتباط بين المدلولات التفصيلية للآيات، وتحليل المدلولات ودمجها وتركيبها؛ من أجل الوصول إلى مركّب نظري قرآني[1].

ولكنّنا نشاهده في المدرسة القرآنيّة مع أهمّ خطواته في عملية التفسير الموضوعيّ، والتي هي:

١- يعنون الموضوع، وعادة ما يعنون الموضوع بالنتيجة التي سيصل إليها.

٢- يستعرض محاور الموضوع بطريقة مختصرة استهلالية.

٣- تعداد نقاط الموضوع مع الآيات الدالّة عليه.

٤- شرح الآيات ضمنياً وبسلاسة، وعرض استظهاراته من الآيات.

٥- عرض الآيات المؤيّدة للفكرة والاستظهار.

مثال: الدرس الرابع أساليب القرآن في بيان سنن التاريخ.

يقول السيد الشهيد الصدر: قلنا: إنّ هذه الفكرة القرآنيّة عن سنن التاريخ بُلورت في عدد كثير من الآيات بأشكال مختلفة وألسنة متعدّدة، ففي بعض هذه الآيات أعطيت الفكرة بصيغتها الكليّة، وفي بعض الآيات أعطيت على مستوى التطبيق على مصاديق ونماذج، وفي

---

(١) عبد الجبّار الرفاعي، الاتجاهات الجديدة في التفسير، مقال.

بعض الآيات وقع الحثّ على الاستقراء وعلى الفحص الاستقرائي للشواهد التاريخية من أجل الوصول إلى السنّة التاريخية.

وهناك عدد كثير من الآيات الكريمة استعرضت هذه الفكرة بشيء أو بآخر، وسوف نقرأ جملة من هذه الآيات الكريمة وبعض هذه الآيات التي سوف نستعرضها واضحة الدلالة على المقصود، وبعضها الآخر له نحو دلالة بشيء وآخر، أو يكون معزّزاً ومؤيّداً للروح العامة لهذه الفكرة القرآنيّة.

١ـ بيان الفكرة الكلية لسنن التاريخ:

فمن الآيات الكريمة التي أعطيت فيها الفكرة الكلية، فكرة أنّ التاريخ له سنن وضوابط ما يأتي:

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

نلحظ في هذه الآية الكريمة أنّ الأجل أضيف إلى الأمّة، إلى الوجود المجموعيّ للناس، لا إلى هذا الفرد بالذات أو ذاك؛ إذاً هناك وراء الأجل المحدود المحتوم لكلّ إنسان بوصفه الفردي، أجلٌ آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي لهؤلاء الأفراد، للأمّة بوصفها مجتمعاً يُنشئ ما بين أفراده العلاقات والصلات القائمة على أساس مجموعة من الأفكار والمبادئ المسندة بمجموعة من القوى والقابليات.

هذا المجتمع الذي يعبّر عنه القرآن الكريم بالأمّة، له أجل وموت وحياة وحركة، كما أنّ الفرد يتحرّك فيكون حيّاً ثمّ يموت، كذلك الأمّة تكون حيّة ثمّ تموت، وكما أنّ موت الفرد يخضع لأجل ولقانون ولناموس، كذلك الأمم لها آجالها المضبوطة أيضاً. وهناك نواميس تحدّد لكلّ أمّة هذا الأجل.

إذاً هذه الآية الكريمة فيها عطاء واضح للفكرة الكلّية، وهي فكرة أنّ التاريخ له سنن

---

(١) يونس: ٤٩.

تتحكّم به وراء السنن الشخصية، أي وراء السنن التي تتحكّم في الأفراد بهويّاتهم الشخصية.

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾(١).

﴿ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾(٢).

﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾(٣).

ظاهر الآية الكريمة أنّ الأجل الذي يترقّب أن يكون قريباً أو يهدّد هؤلاء بأن يكون قريباً، هو الأجل الجماعي لا الأجل الفردي؛ لأنّ قوماً بمجموعهم لا يموتون عادة في وقت واحد، وإنّما الجماعة بوجودها الكلّي هو الذي يمكن أن يكون قد اقترب أجله.

فالأجل الجماعي هنا يعبّر عن حالة قائمة بالجماعة لا عن حالة قائمة بهذا الفرد أو ذاك؛ لأنّ الناس عادة تختلف آجالهم حينما ننظر إليهم بالمنظار الفردي، لكن حينما ننظر إليهم بالمنظار الاجتماعي بوصفهم مجموعة واحدة متفاعلة في ظلمها وعدلها، في سرّائها وضرّائها، حينئذٍ يكون لها أجل واحد، فهذا الأجل الجماعي المشار إليه إنّما هو أجل الأُمّة؛ وبهذا تلتقي هذه الآية الكريمة مع الآيات السابقة.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ۝٥٨ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾(٤).

(١) الحجر: ٤- ٥.
(٢) المؤمنون: ٤٣.
(٣) الأعراف: ١٨٥.
(٤) الكهف: ٥٨- ٥٩.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾(٢).

في هاتين الآيتين الكريمتين تحدّث القرآن الكريم عن أنّه لو كان الله يريد أن يؤاخذ الناس بظلمهم وبما كسبوا لما ترك على ساحة الأرض من دابّة، أي لأهلك الناس جميعاً.

وقد وقعت مشكلة في كيفية تصوير هذا المفهوم القرآنيّ؛ إذ إنّ الناس ليسوا كلّهم ظالمين عادة؛ فبينهم الأنبياء والأئمّة والأوصياء، هل يشمل الهلاك الأنبياء والأئمّة العدول من المؤمنين؟ حتى إنّ بعض الناس استغلّ هاتين الآيتين لإنكار عصمة الأنبياء عليهم السلام.

والحقيقة أنّ هاتين الآيتين تتحدّثان عن عقاب دنيوي لا عن عقاب أخروي؛ تتحدّثان عن النتيجة الطبيعية لما تكسبه أمّة عن طريق الظلم والطغيان، هذه النتيجة الطبيعية لا تختصّ حينئذٍ بخصوص الظالمين من أبناء المجتمع، بل تعمّ أبناء المجتمع على اختلاف هويّاتهم، وعلى اختلاف أنحاء سلوكهم.

هذا كلّه هو منطق سنّة التاريخ، فالعذاب حينما يأتي في الدنيا على مجتمع على وفق سنن التاريخ لا يختصّ بخصوص الظالمين من أبناء مجتمع، ولهذا قال القرآن الكريم في آية أخرى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٣)، على حين يقول في موضع آخر: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٤)؛ فالعقاب الأخروي ينصبّ

(١) النحل: ٦١.

(٢) فاطر: ٤٥.

(٣) الأنفال: ٢٥.

(٤) الإسراء: ١٥.

دائماً على العامل مباشرة، وأمّا العقاب الدنيوي فيكون أوسع من ذلك.

إذاً هاتان الآيتان الكريمتان تتحدّثان عن سنن التاريخ لا عن العقاب بالمعنى الأخروي والعذاب بمعنى مقاييس يوم.

٢ـ بيان السنن من خلال المصاديق:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾(١).

هذه الآية أيضاً تثبّت قلب رسول الله، وتحدّثه عن التجارب السابقة، وتربطه بقانون التجارب السابقة، وتوضّح له أنّ هناك سنّةً تجري عليه وعلى الأنبياء الذين مارسوا هذه التجربة من قبله، وأنّ النصر سوف يأتيه ولكن للنصر شروطه الموضوعيّة: الصبر، والثبات، واستكمال الشروط. هذا هو الطريق إلى الحصول على هذا النصر، ولهذا يقول: ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾(٢).

إذاً هناك كلمة للهً لا تتبدّل على مرّ التاريخ، هذه الكلمة التي لا تتبدّل هي علاقة قائمة بين النصر وبين مجموعة من القضايا والشروط والمواصفات وضّحت بآيات متفرّقة وجمعت على وجه الإجمال هنا، إذاً هناك سنّة للتاريخ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾(٣).

(١) الأنعام: ٣٤.

(٢) الأنعام: ٣٤.

(٣) فاطر: ٤٢-٤٣.

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(١).

هناك آيات استعرضت نماذج من سنن التاريخ، مثل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٢). هذه الآية الكريمة تتحدّث عن نموذج من نماذج سنن التاريخ، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، فالمحتوى الداخلي النفسي الروحي للإنسان هو القاعدة، الوضع الاجتماعي هو البناء العلوي، لا يتغيّر هذا البناء العلوي إلاّ تبعاً لتغيّر القاعدة.

هذه الآية إذاً تتحدّث عن علاقة معيّنة بين القاعدة والبناء العلوي، بين الوضع النفسي والروحي والفكري للإنسان وبين الوضع الاجتماعي، بين داخل الإنسان وبين خارجه، فخارج الإنسان يصنعه داخل الإنسان، فهو مرتبط بداخل الإنسان، فإذا تغيّر ما في نفوس القوم تغيّر وضعهم وعلاقاتهم والروابط التي تربط بعضهم ببعض، هذه سنّة إذاً من سنن التاريخ ربطت القاعدة بالبناء العلوي.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٣).

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(٤).

يستنكر عليهم أن يأملوا في أن يكون لهم استثناء من سنّة التاريخ، هل تطمعون أن يكون لكم استثناء من سنّة التاريخ؛ أن تدخلوا الجنّة وأن تحقّقوا النصر وأنتم لم تعيشوا ما عاشته

(١) الفتح: ٢٢- ٢٣.
(٢) الرعد: ١١.
(٣) الأنفال: ٥٣.
(٤) البقرة: ٢١٤.

تلك الأمم التي انتصرت ودخلت الجنّة من ظروف البأساء والضرّاء التي تصل إلى حدّ الزلزال على ما عبّر عنه القرآن الكريم؟!

إنّ هذه الحالات، حالات البأساء والضرّاء التي تتعلّق على مستوى الزلزال هي في الحقيقة مدرسة للأمّة، وهي امتحان لإرادة الأمّة، لصمودها، لثباتها، لكي تستطيع بالتدريج أن تكتسب القدرة على أن تكون أمّة وسطاً في الناس.

نصر الله _ إذاً_ قريب، لكنّ نصر الله له طريق؛ هكذا يريد أن يقول القرآن، نصر الله ليس أمراً عفوياً، ليس أمراً على سبيل الصدفة، ليس أمراً عمياوياً، نصر الله قريب ولكن اهتدِ إلى طريقه، الطريق لابدّ من أن تعرف فيه سنن التاريخ، ولابدّ من أن تعرف فيه منطق التاريخ لكي تستطيع أن تهتدي إلى نصر الله سبحانه وتعالى.

وقد يكون الدواء قريباً من المريض؛ لكن إذا كان هذا المريض لا يعرف تلك المعادلة العلمية التي تؤدّي إلى إثبات أنّ هذا الدواء يقضي على جرثومة هذا الداء، لا يستطيع أن يستعمل هذا الدواء حتى ولو كان قريباً منه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾[1].

هذه الآية أيضاً تتحدّث عن علاقة معيّنة، بين ظلم يسود وظلم يسيطر وبين هلاك تُجرّ إليه الأمّة جرّاً، هذه العلاقة أيضاً تؤكّد أنّها علاقة مطلقة، علاقة مطّردة على مرّ التاريخ، وهي سنّة من سنن التاريخ.

٣ـ الحثّ على التأمّل في أحداث التاريخ:

وهناك آيات أخرى أكّدت الاستقراء والنظر والتدبّر في الحوادث التاريخية وحثّت عليها؛ من أجل تكوين نظرة استقرائية، ومن أجل الخروج بنواميس وسنن كونية للساحة

(١) الإسراء: ١٦- ١٧.

التاريخية: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[1].

كشف القرآن عن سنن التاريخ:

من مجموع هذه الآيات الكريمة يتبلور المفهوم القرآنيّ الذي أوضحناه، وهو تأكيد القرآن أنّ الساحة التاريخية لها سنن وضوابط، كما يكون هناك سنن وضوابط لكل الساحات الكونية الأُخرى؛ وهذا المفهوم القرآنيّ يعدّ فتحاً عظيماً للقرآن الكريم؛ لأنّنا - في حدود ما نعلم - نجد أنّ القرآن الكريم أوّل كتاب عرفه الإنسان قد أكّد هذا المفهوم وكشف عنه وأصرّ عليه وقاوم بكلّ ما لديه من وسائل الإقناع والتفهيم، النظرة العفوية أو النظرة الغيبية الاستسلامية لتفسير الأحداث التاريخية[2].

خلاصة الدرس:

أوّلاً: اعتمد الشيخ السبحانيّ المنهج الموضوعيّ، بمعنى أنّه يوحّد بين الآيات في ضمن مركّب نظري واحد. على حين تبنّى الشهيد الصدر الأوّل‏قدس‌سره منهج التفسير الموضوعيّ؛ الموضوعيّة بمعنى أن يبدأ من (الموضوع) الذي هو الواقع، ويعود إلى القرآن الكريم لمعرفة ما يطرحه القرآن تجاه هذا الواقع، أي يوحّد بين التجربة البشرية والقرآن الكريم.

ثانياً: أهمّ خطوات الشهيد الصدر الأوّل‏قدس‌سره في عملية التفسير الموضوعيّ؛ هي:

١- يعنون الموضوع، وعادةً ما يعنون الموضوع بالنتيجة التي سيصل إليها.

٢- يستعرض محاور الموضوع بطريقة مختصرة استهلالية.

٣- تعداد نقاط الموضوع مع الآيات الدالّة عليه.

---

(١) محمّد: ١٠.

(٢) الشهيد الصدر، المدرسة القرآنيّة، الدرس الرابع (أساليب القرآن في بيان سنن التاريخ)/ بتلخيص وتصرّف.

٤- شرح الآيات ضمنياً وبسلاسة وعرض استظهاراته من الآيات.

٥- عرض الآيات المؤيّدة للفكرة والاستظهار.

الأسئلة:

س١: ذُكرت ثلاثة معانٍ للموضوعية، أذكرها مبيّناً المختار منها عند السيّد الشهيد.

س٢: ما هي الخطوات التي اعتمدها السيّد الشهيد الصدر في تفسيره الموضوعيّ في كتابه المدرسة القرآنيّة؟

س٣: قدّم مثالاً لأحد المواضيع التي تناولها السيّد الشهيد الصدر للتفسير الموضوعيّ في المدرسة القرآنيّة.

س٤: ما الفرق بين منهج الشيخ السبحانيّ والسيّد الشهيد الصدر الأوّل تتتئ؟

س٥: يمكن أن يقال: إنّ السيّد الشهيد الصدر قد اختار التفسير التوحيدي بلحاظ أمرين؛ اذكرهما.

س٦: أشرح العبارة الآتية مع الأمثلة: فعندما طرح الصدر فكرة التفسير الموضوعيّ كان يريد من ذلك أن يحلّ مشكلةً في الواقع، إنّه يقول: فلنذهب إلى الواقع لنسأله عن مشكلاته وعن أزماته ومعضلاته، ثمّ نأخذ هذه المشكلة ونحملها - بعد وعيها وفهمها جيّداً - إلى النصّ، فنلقيها عليه، لنسأله وننتظر ماذا يجيب.

الدرس الخامس عشر:
نموذج من التفسير الموضوعيّ للقصص القرآنيّ (بالمنهج التحليليّ)

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: تعرّف مثال من التفسير الموضوعيّ في مجال القصص القرآنيّ.

أهداف ثانوية:

١- الاطّلاع على كتاب، ولون معاصر من ألوان التفسير الموضوعيّ.

٢- تعرّف المنهج التحليليّ في التفسير الموضوعيّ القصصي.

المحتوى العلمي:

قد يعمد المفسّر إلى جمع بعض الآيات وتحليلها من أجل الوصول إلى الهدف والجواب الذي يبحث عنه. ومثال ذلك: ما لو فتّش الباحث عن آية واحدة تحكي صفات أو مميّزات مجتمع ما، أو شخص ما في القرآن فقد لا يجدها؛ بل ولا يجد تفسيراً ترتيبياً كافياً لذلك، عندها يعمد إلى جمع الآيات عن الشخص المراد معرفته أو معرفة شخصيّته في القرآن الكريم، ويقوم بتحليلها ليتمكّن بوساطة القرائن المجموعة لديه أن يرسم معالم شخصية النبيّ، أو الوليّ، أو الشخص المذكور في القرآن الكريم، وخير كتاب تناول هذا الموضوع هو القصص القرآنيّ للسيّد الشهيد محمّد باقر الحكيم قدس سره[1].

المنهج التحليليّ:

يقوم المنهج التحليليّ على تفتيت الظاهرة الفكرية إلى مجموعة من العناصر يتم التأليف بينها في حزمة لا متجانسة من الوقائع أو العوامل التي أنشأتها. بمعنى أنّه إذا كان المنهج

---

(١) للزيادة يراجع كتاب القصص القرآني، السيد محمد باقر الحكيم.

التاريخي يقوم باستبدال واقعة مادّية بالظاهرية الفكرية، فإنّ المنهج التحليلي يقوم بعد ذلك بتفتيت هذه الظاهرة وردّها إلى عناصرها الأوّلية، كأن تكون ظروفاً اجتماعية أو سياسية أو دينية(١).

فالمنهج التحليلي يفكّك الكلّ إلى أجزائه لفحصها، ثمّ يعود إلى الدلالات التركيبية المرتبطة بالنظم الذي يرى أنّه لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان(٢).

فلو أراد الطالب تعرّف صفات مجتمع أو مميّزات شخص ما، فإنّه لن يجد سبيلاً إلى ذلك إلاّ عن طريق التفسير الموضوعيّ بالمنهج التحليلي؛ وعلى سبيل المثال لا التحديد: لو أحبّ الباحث تعرّف مميّزات شخصية النبيّ إبراهيم الخليل وخصوصيّاته، أو صفاته؛ فما عليه إلاّ أن يطالع المثال الذي سنذكره فيما يأتي:

شخصية النبي إبراهيم الخليل عليه السلام:

تحدّث القرآن الكريم بعض الشيء عن شخصية إبراهيم أثناء الحديث عن قصّته أو بنحوٍ مستقلٍّ، وأكّد بنحوٍ خاصّ صفاته الممتازة وأبعادها المتعدّدة، بحيث يظهر فيها إبراهيم وكأنّه أفضل الأنبياء جميعاً عدا سيّد الأنبياء وخاتمهم نبيّنا محمّد ﷺ.

ولعلّ هذا الجانب هو السبب المهم فيما ورد في الأحاديث الشريفة المتواترة عن رسول الله من استحباب قرن الصلاة عليه وآله بالصلاة على إبراهيم وآله والتمثيل بها.

ويمكن إجمال الأبعاد التي أشار إليها القرآن الكريم من صفات إبراهيم صراحةً أو تلميحاً ببيان آثارها بالأبعاد الأربعة الآتية(٣):

---

(١) محمود ماضي، الوحي القرآنيّ في المنظور الاستشراقي، ص٣٥.

(٢) محمّد إبراهيم شادي، إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز، ص١٢.

(٣) يمكن مراجعة كتاب القصص القرآنيّ للسيّد محمّد باقر الحكيم للاطّلاع على تفصيل أكثر، أو للاطّلاع على نماذج أخرى.

الأوّل: البعد الرساليّ:

وهي الصفات التي تشير إلى موقع إبراهيم من الرسالة الإلهية، وهذه الصفات؛ هي:

أ- الإمامة، حيث تحدّث القرآن الكريم عن منح الله سبحانه وتعالى لإبراهيم مقام الإمامة: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعوة إبراهيم في أن تكون هذه الإمامة فيه وفي ذرّيته، كما صرّح القرآن الكريم بذلك في عدة مواضع أخرى أيضاً، واستثنى من نيلها الظالمين.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

والإمامة على ما تشير إليه الآية الكريمة السابقة، وتؤكّده بعض الروايات التي وردت عن أهل البيت أنّها أعلى درجات النبوّة.

فقد روى الكليني في (الكافي) بسنده عن جابر، عن أبي جعفر قال: سمعته يقول: (إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبياً، وإنّ الله اتّخذه نبياً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(٣).

فمن عظمها في عين إبراهيم، قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤).

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢)الأنعام: ٨٤ - ٨٧.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) البقرة: ١٢٤.

ويبدو من القرآن الكريم عند تتبّع توظيف عنوان الإمامة أنّ البداية كانت من إبراهيم.

ب - أولي العزم، عدّ القرآن الكريم إبراهيم عليه السلام من أنبياء أولي العزم من الرسل، كما ذكرنا ذلك في الحديث عن نوح، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[2].

ويمتازُ هؤلاء الأنبياء بإنزال الشرائع السماوية عليهم لتنظيم حياة الناس بها، ممّا يشير إلى وجود أقوام من الناس يؤمنون بهم ويتّبعون مناهجهم، وقد أكّد القرآن الكريم وجود هذا النوع من الوحي الإلهي على إبراهيم عليه السلام عندما تحدّث عن صحف إبراهيم وموسى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[3].

كما أنّ هؤلاء الأنبياء ممّن أخذ عليهم الله سبحانه وتعالى الميثاق الغليظ بسبب طبيعة ثقل المسؤولية والرسالة التي يتحمّلونها، كما أشارت إلى ذلك (الآية ٧) من سورة الأحزاب.

ج - الاصطفاء، لقد كان إبراهيم من جملة الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم بالاصطفاء والاجتباء، وتميّز بأنّه كان أوّل مَن تمّ اصطفاؤه مع آله وعترته: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه الصفة في إبراهيم في مواضع عديدة، وعبّر عنها

(١) الشورى ١٣

(٢) الأحزاب: ٧.

(٣) الأعلى: ١٨ – ١٩.

(٤) آل عمران: ٣٣- ٣٤.

بأساليب مختلفة؛ لتأكيد هذا الموقع الرسالي الخاصّ.

د- جمع الدنيا والآخرة: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(١) تدلّ الآية الكريمة على أنّ الله جمع لإبراهيم عليه السلام الدنيا والآخرة، فهو في دنياه يعيش عيشة حسنة له مال وأولاد ومنعة وعزّة، وكرامة ومروّة وذرّية وبقاء في الذكر الحسن، وقدوة للأنبياء حتى أفضلهم وخاتمهم، وقبول من جميع الأمم والملل، وصلوات دائمة عليه وعلى آله، وهو في الآخرة من الصالحين الذين أنعم الله عليهم ورفع درجتهم، واستجاب دعاءه في أن يلحقه بمحمّد وآله صلى الله عليه وآله، فيكون منهم.

الثاني: العلاقة بالله تعالى.

وهي الصفات التي تتحدّث عن نوع العلاقة بين الله تعالى وإبراهيم ومستواها، وهي التي يمكن أن نراها فيما أشار إليه القرآن الكريم من الصفات الآتية، فقد كان إبراهيم عليه السلام:

أ- حنيفاً مسلماً؛ إذ وصف الله سبحانه وتعالى إبراهيم ودينه وملّته بهذا الوصف في عدّة مواضع من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٣).

والحنيف المسلم: هو الذي أخلص وأسلم لأمر الله تعالى، فلم يلتوِ في شيء من دينه، أو هو المائل عن الضلالة إلى الاستقامة.

---

(١) النحل: ١٢٢.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) الأنعام: ١٦١.

وقد جاء التأكيد في أغلب هذه الآيات أنه لم يكن من المشركين؛ لأنّ بعض العرب المشركين كانوا يدّعون أنّهم على دين إبراهيم، كما أنّه في الوقت نفسه تأكيد الاستقامة في الدين.

ب - شاكراً لأنعم الله سبحانه وتعالى عليه؛ إذ هداه إلى الدين الحنيف، وتفضّل عليه بالنبوّة والرسالة والإمامة، وأنجاه من النار، وأنقذه من الطغاة، وآتاه في الدنيا حسنة، ورزقه الذريّة الصالحة المصطفاة، وجعل ذكره من الخالدين...

وكان في كلّ هذه المواقف يتّصف بالشكر لهذه النعم، وصفة الشكر للمنعم تمثّل التعبير الأصيل لعلاقة العبودية بين الإنسان والله تعالى.

ج - قانتاً ومطيعاً للهّ سبحانه وتعالى بخضوع وخشوع وتسليم، فهي صفة من صفات اقتران الطاعة لله بالعبادة والخضوع والخشوع له.

د- خليلاً للهّ تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾(١).

والخليل: هو الذي أخلص في الحبّ حتى تخلّل الحبّ والودّ نفسه وخالطها، فهو قد اختلط حبّه للهّ بنفسه الشريفة وتخلّلها، كما خالط إحسان الله سبحانه وتعالى له ولطفه به نفسه وتخللها، فهي علاقة التمازج والاختلاط في الحبّ والولاء بينه وبين الله تعالى، كل بما يناسب شأنه.

وهذا الوصف ممّا اختصّ به إبراهيم في القرآن الكريم.

هـ - وفياً بالعهود والميثاق الغليظ الذي أخذه الله سبحانه وتعالى عليه: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾(٢).

فلم يقصّر في أداء مسؤوليته مهما كانت المصاعب والعقبات، ومهما كانت التفاصيل

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) النجم: ٣٧.

والمفردات، وقد اختصّ الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم إبراهيم بهذا الوصف.

و- منيباً إلى الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ (١)، فهو يرجع إلى الله سبحانه وتعالى في أموره كلّها: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ (٢).

الثالث: العلاقة بالناس والأمّة.

فقد ذكر القرآن الكريم في وصف إبراهيم صفات توضّح طبيعة العلاقة بينه وبين قومه، وأهل بيته والناس عموماً، وهي:

أ- كان أمّة، فقد ورد في تفسير ذلك: أنّه كان قدوة ومعلّماً للخير، فهو إمام هدًى، وأنّ قِوام الأمّة بوجوده، وأنّ عمله كان عمل أمّة، أو أنّه وحيد زمانه بالتوحيد، فكان مؤمناً والناس كفّار.

وقد ورد في سورة الممتحنة وضع إبراهيم في موضع القدوة للمسلمين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (٣).

كما ورد فيه الأمر لرسول الله باتّباع ملّة إبراهيم: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٤)، كما ورد فيه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ (٥).

ب - كان حليماً؛ إذ وصفه القرآن الكريم بذلك عندما أخذه العطف والشفقة على لوط وقومه بسبب ما أخبره به رسل الله بالقرار الإلهي في نزول العذاب عليهم، فهؤلاء القوم

---

(١) هود: ٧٥.

(٢) الزمر: ١٧.

(٣) الممتحنة: ٦.

(٤) النحل: ١٢٣.

(٥) النساء: ١٢٥.

بالرغم من انحرافهم وشذوذهم، وإيذائهم لابن أخيه لوط وإساءتهم لمعاملته، فإنّ إبراهيم أخذ يجادل المرسل فيهم - كما سوف نعرف - بأمل دفع نزول العذاب عليهم.

وهذا يعني: أنّ حالة العطف والشفقة والرأفة بالناس عموماً من الصفات المميّزة التي تميّز هذا النوع من الناس الذين اصطفاهم الله لرسالته: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (١).

وهذا الوصف ذكره القرآن الكريم بشأن نبيّنا محمّد في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

كما تذكر هذه الصفة - الحلم - لإبراهيم في عطفه على أبيه وموعدته إياه بالاستغفار له، وإن كان قد تبرّأ منه عندما تبيّن له أنّه عدوّ لله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٣).

ومن هنا يمكن أن نفهم أنّ الحلم هو الصبر المقرون بالعطف والرأفة على فعل السوء رجاء إصلاح الحال حبّاً بالآخرين وطلباً لمنفعتهم.

ج - كان بريئاً من أعداء الله الذين يصرّون على موقفهم في العداوة، ويلحّون على التمرّد والعصيان. وقد ذكر القرآن الكريم هذا الوصف لإبراهيم في علاقته مع المشركين عندما تبيّن له هذا الإصرار وهذا الموقف دون فرق بين الأباعد منهم والأقارب، وجعل هذا الوصف لإبراهيم؛ ليكون الأسوة والقدوة للآخرين.

فقد سبق أن أشرنا إلى موقفه من البراءة من أبيه عندما تبيّن له أنّه عدوّ لله: ﴿ قَدْ كَانَتْ

---

(١) هود: ٧٤- ٧٥.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) التوبة: ١١٤.

لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(1).

وبذلك نعرف أنّ هذه الصفة تكمّل صفة الحلم التي تحدّثنا عنها في الفقرة السابقة في علاقة إبراهيم بالناس.

د- كان يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ إذ كان يتّبع أسلوب مخاطبة العقل والوجدان، والتدرّج في الخطاب والموقف، واستخدام مختلف الأساليب والوسائل المشروعة للوصول إلى هدفه مع الالتزام بالخلق الإنساني الرفيع.

الرابع: معالم الشخصية.

ذكر القرآن الكريم إلى جانب جميع الصفات السابقة بُعداً رابعاً من شخصية إبراهيم، وهو: البعد الذي يرتبط بمعالم شخصيّته الذاتية، وهي:

أ- التفكّر والتأمّل والتدبّر في الخلق والكون وظواهر الطبيعة من أجل الوصول إلى الحقيقة؛ إذ يذكر له القرآن الكريم عدّة مواقف تعبّر عن ذلك، لعلّ أحسنها ما ذكره في سورة الأنعام من تفكّره وتدبّره في البحث عن ربّه الخالق وهو في صغره عندما رأى الكوكب وأفوله، ثمّ انتقاله إلى القمر والشمس، ثمّ إلى معرفته بالله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾(2).

---

(١) الممتحنة: ٤- ٥.

(٢) الأنعام: ٧٦- ٧٨.

وكذلك طلبه من ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى للوصول إلى درجة اليقين في معرفة النشأة الآخرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

ب - كان واسع المعرفة بالحقائق الإلهية بسبب طلبه لها بالتأمّل والتفكّر من ناحية، وبسبب اللطف الإلهي والعناية الربّانية به الذي فتح له هذا الباب الواسع من المعرفة من ناحية أُخرى، وقد عبّر عنه القرآن الكريم بـ (إراءته لملكوت السماوات والأرض): ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾(٢). حيث كان يرى الحقائق الإلهية الغيبية والمشهودة في السماوات والأرض.

ج - كان قوي الحجّة والبرهان، ويبدو ذلك واضحاً من القرآن الكريم في عرضه لاحتجاج إبراهيم مع أبيه، ومع قومه في المرحلة الأولى من حياته، كما تذكره آيات سورة الأنعام؛ ولذلك وصفه القرآن الكريم بعدها بقوله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾(٣). وكذلك موقفه في الاحتجاج على قومه بعد ذلك في المرحلة الثانية من حياته، وتكسيره الأصنام بهدف إقامة الحجّة، وعلى أنّه أسلوب لتوضيح الحقيقة كما هو الظاهر، ولم يكن الغرض هو مجرّد الانتقام - والله أعلم - ولذلك اضطرّوا في البداية إلى التسليم بالحجّة ثمّ نكّسوا على رؤوسهم.

وكذلك موقفه في الاحتجاج مع الملك في موضوع ربّه تعالى الذي عرفه بالإحياء والإماتة، ثمّ بالتصرّف في هذا الكون ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) الأنعام: ٧٥.

(٣) الأنعام: ٨٣.

ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

د- الشجاعة الفائقة في المواقف والاستقامة عليها، كما يبدو ذلك واضحاً في كلّ مواقفه العامة والخاصّة: في دعوته لأبيه وقومه، وفي تكسيره للأصنام، ووقوفه في مواجهة قومه وهو واحد منفرد، وفي صبره على الإحراق بالنار، وفي مجادلته للمَلِك، وفي هجرته إلى الأرض المباركة، وفي إسكانه لذرّيته في وادٍ غير ذي زرع، وفي بنائه البيت، وفي إقدامه على ذبح ولده إسماعيل، إلى غير ذلك ممّا يعبّر عن هذا البعد في شخصيّته.

خلاصة الدرس:

• يعرّف المنهج التحليلي بأنّه: منهج يقوم على تفكيك الكلّ إلى أجزائه لفحصها، ثمّ يعود إلى الدلالات التركيبية المرتبطة بالنظم.

• يمكن إجمال الأبعاد التي أشار إليها القرآن الكريم من صفات إبراهيم 7 بالأبعاد الأربعة الآتية:

الأوّل: البعد الرسالي، وهي الصفات التي تشير إلى موقع إبراهيم من الرسالة الإلهية، مثل الإمامة.

الثاني: العلاقة بالله تعالى، وهي الصفات التي تتحدّث عن نوع العلاقة بين الله تعالى وإبراهيم ومستواها، وهي: أنّه كان شاكراً لأنعم الله.

الثالث: العلاقة بالناس والأمّة، فقد ذكر القرآن أنّه كان حليماً.

الرابع: معالم الشخصية، ذكر القرآن الكريم إلى جانب جميع الصفات الأخرى بُعداً رابعاً، وهو: البعد الذي يرتبط بمعالم شخصيّته الذاتية، وهي: التفكّر والتأمّل، وكان قويَّ الحجّة والبرهان وانمازَ بالشجاعة الفائقة.

---

(١) البقرة: ٢٥٨.

الأسئلة:

س١: هل من الممكن دراسة إحدى الشخصيات القرآنيّة بأسلوب التفسير الترتيبيّ؟ ولِمَ؟

س٢: ما هو تعريف المنهج التحليلي؟

س٣: كيف كانت علاقة النبي إبراهيم الخليل بالله جلّ شأنه؟ وضّحها بالآيات.

س٤: ما هي معالم شخصية سيّدنا إبراهيم الخليل في ذاته؟ وضّحها بالآيات.

س٥: قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾(١) ما معنى ذلك؟

س٦: كيف كان البعد الرسالي في شخصية النبي إبراهيم الخليل بالله جلّ شأنه؟ وضّحه بالآيات.

(١)- النحل: ١٢٠.

الدرس السادس عشر

نموذج من التفسير الموضوعيّ في الفقه (تفسير آيات الأحكام)

أهداف الدرس:

الهدف الأساسيّ: تعرّف مثال من التفسير الموضوعيّ في مجال الفقه.

أهداف ثانوية:

١- الاطّلاع على كتاب فقهي يمارس التفسير الموضوعيّ.

٢- الاطّلاع على تعريف آيات الأحكام.

المحتوى العلمي:

القرآن هو المصدر الأوّل للأحكام الإسلامية، فلا تنحصر آياته في الأحكام العملية، فقد تطرّق القرآن إلى مئات المواضيع المختلفة، والذي يختصّ منها بالأحكام جزء يقدّر بحوالي خمس مئة آية، وقد صنَّف العلماء كتباً عديدة في خصوص آيات الأحكام منها: آيات الأحكام للملا المقدّس الأردبيلي، وكنز العرفان للفاضل المقداد، وجامع أحكام القرآن للقرطبي، وآيات الأحكام في تفسير كلام الملك العلاّم للاسترآبادي، وغيرهم من العلماء.

ويعدّ التفسير الموضوعيّ في الفقه النموذج الأوّل للتفسير الموضوعيّ الموجود حالياً، فالبحث الفقهي لآيات الأحكام هو الرحم الذي ولدَ منه التفسير الموضوعيّ الحديث، وهو المهد الذي نشأ فيه وترعرع، فكان الفقيه إذا أراد التنوّع في البحث جعل القرآن محوراً لبحثه، فهو بحث لا يسير على وفق الطريقة السائدة في البحث الفقهي، بل يكون بحثه منطلقاً من القرآن الكريم، ومنه ظهر الاتجاه الفقهي بالتفسير القرآنيّ.

تعرّف آيات الأحكام بأنها: آيات تتضمّن الأحكام الفقهية التي تتعلّق بمصالح العباد في

دنياهم وأخراهم.

والمثال الذي اخترناه للدارسين هنا هو بحث موضوعي لآيات الأحكام عن مسألة تشريع الجهاد في الإسلام وهو كما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(١).

سبب النزول:

كان المشركون يؤذون المسلمين (في مكّة)، وكان المسلمون يأتون مراراً، مضروبين ومجروحين، إلى رسول الله ﷺ، ويشكون من ذلك، فيقول لهم، ﷺ: (عليكم بالصبر فإنّي لم أؤمر بعد بالقتال)، وبعد هجرته إلى المدينة أنزل الله عليه هذه الآية، وهي أوّل آية نزلت في القتال(٢).

الإشارات والمضامين:

١-تشريع الجهاد: هذه الآية شرَّعت الجهاد وأذنت للمسلمين بالقتال، فالمراد بقوله: ﴿أُذِنَ﴾ الإذن بالجهاد. وجملة: ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ بدل قوله: (الذين آمنوا) يدلّ على أنّ المأذون فيه هو القتال (ضد المشركين)(٣).

٢-ابتداء المشركين القتال ضد المسلمين: جملة ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ مبنيّة للمجهول وفيها دلالة على أنّ المشركين هم الذين أرادوا الحرب، وهم شرعوا بإيقاد شعلتها(٤).

---

(١) الحج: ٣٩.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج ٧، ص ١٣٨.

(٣) تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٣٨٤. نص جملة الميزان: ظاهر السياق أنّ المراد بقوله: (أُذِنَ) إنشاء الإذن لا الإخبار عن إذن سابق. كذلك إيراد جملة: لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بدل قوله: (الذين آمنوا) يدلّ على أنّ المأذون فيه هو القتال (مع المشركين).

(٤) المصدر السابق.

٣-علّة تشريع الجهاد ظلم المشركين للمسلمين: الباء في ﴿ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ﴾ للسببية، وفيه تعليل الإذن بالقتال، أي أُذِن لهم بالقتال لأنّهم ظُلِموا. والآية التي تليها ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[1] تفسّر ماهيّة (حقيقة) هذا الظلم[2].

قال الله تعالى﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

الإشارات والمضامين:

١-وجوب الدفاع والجهاد على المؤمنين كافّة: عبارة ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ﴾ أوجبت القتال. والآية تخاطب المؤمنين كافّة، فالجهاد والدفاع واجب عليهم كافّة، إلا من استُثني لدليل معتبر كالمريض والاعمى والجريح...[4]، وقد أجمع المفسّرون على أنّ هذه الآية دالّة على الوجوب الكفائي للجهاد. فإذا تخلّف الناس عنه أَثِمُوا جميعاً، وإن قام به من يكتفى بهم، سقط عن الباقين[5].

٢-معنى كُره المؤمنين للجهاد: من الواضح أنّ الجهاد تكليف إلهي، أما في كونه مشقّة وكره للمؤمنين، فيوجد أكثر من تفسير:

الأول: أنّ في الجهاد مشقّة للمؤمنين، من هنا فلا رغبة لهم فيه، لكنّ كراهتهم فيه كراهة طِبَاع لا على وجه السخط؛ لأنّ الشيء قد يكون مكروهاً عند الإنسان في طبعه، ومن حيث

---

(١) الحج: ٤٠.
(٢) تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٣٨٤.
(٣) البقرة: ٢١٦.
(٤). تفسير الميزان، ج ٢، ص ١٦٤. نص عبارة الميزان: عبارة كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ ظاهرة في الوجوب. وبما أنّ المخاطَب في هذه الآية المؤمنون كافّة، فالجهاد والدفاع واجب عليهم كافّة، إلا من استُثني لدليل معتبر مثل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾.
(٥) تفسير مجمع البيان، ج ١-٢، ص ٥٤٩.

تَنفُر نفسه عنه، لكنّه يقوم به لأنّ الله تعالى أمره بذلك كالصوم في الصيف[1].

الثاني: لأنّ القتال متضمّن لفناء النفوس، وتعب الأبدان، والمضارّ المالية وانعدام الأمن والرفاهية، وبالتالي كان كرهاً وشاقاً لبعض المؤمنين بالطبع.

الثالث: أنّ المؤمنين في صدر الإسلام كانوا يرون أنّ القتال مع الكفّار - مع ما لهم من العدّة والقوّة - ليس فيه صلاح الإسلام والمسلمين، وأنّ الحزم إنّما هو في تأخيره حتى يتمّ لهم الاستعداد المطلوب.

الرابع: أنّ المؤمنين لكونهم متربّين بتربية القرآن، تعرّف فيهم خُلُق الشّفقة على خَلْق الله، وملكة الرحمة والرأفة، فكانوا يكرهون القتال مع الكفّار، لكونه مؤدّياً إلى فناء نفوسٍ منهم في المعارك على الكفر، ولم يكونوا راضين بذلك، بل كانوا يحبّون أن يداروهم ويُخالطوهم بالعشرة الجميلة، والدعوة الحسنة لعلّهم يسترشدون بذلك[2].

مصلحة الجهاد ومفسدة تركه للمؤمنين: حيث إنّ الجهاد ينطوي على ﴿إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِ﴾[3]، إمّا النصر والغنيمة أو الشهادة والجنة، فهو منشأ خير للمسلمين وفي أدائه مصلحة. وبما أنّ في تركه ذلّ وحرمان من الغنيمة والثواب الأخروي، ففي تركه مفسدة لهم[4]. ولأنّ المؤمنين كانوا كارهين للحرب محبّين للصّلح والسّلم أراد الله تخطئتهم في الأمرين جميعاً وتبيان أنّ ملاك المصلحة والمفسدة ليس بحسب رغبتهم وكرههم، فأورد كلمة (عسى) في الجملتين المستقلتين[5].

ترغيب المؤمنين بالجهاد: في الآية ترغيب للمؤمنين بالجهاد؛ لأنّهم إذا ما عرفوا قصور

(١) تفسير مجمع البيان، ج ١-٢، ص ٥٤٩.
(٢) تفسير الميزان، ج ٢، ص ١٦٤-١٦٥.
(٣) التوبة: ٥٢.
(٤) تفسير مجمع البيان، ج ١-٢، ص ٥٤٩.
(٥) تفسير الميزان، ج ٢، ص ١٦٦.

علمهم، وكمال علم الله تعالى بالمصالح والمفاسد الحقيقية لهم، وكذلك إذا علموا أنّه سبحانه لا يأمر العبد إلاّ بما فيه خيره ومصلحته، وجب عليهم الامتثال لما أمرهم الله تعالى به، سواء كان مكروهاً للطبع أو لم يكن(١).

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(٢).

أسباب النزول:

قال بعض المفسرين إنّ هذه الآية نزلت في صلح الحديبية. وبعضهم يعتقد بأنّها أول آية نزلت في الجهاد(٣).

الإشارات والمضامين:

وجوب الدفاع: (قَاتِلُوا) فعل أمر دال على الوجوب، والمراد من عبارة ﴿ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾ الذين يدفعون المؤمنين عن أداء مناسك الحجّ أو الذين يقاتلونهم ابتداءً(٤). والمقصود من عبارة ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾ النهي عن قتال من لم يبدأ القتال مع المسلمين(٥).

تشريع الجهاد: بناءً على ظاهر الآية، فالمراد من ﴿ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ بيان حال ووصف العدو، وهذا حال من كان من المشركين في مكّة. وعليه: فسياق هذه الآية مطابق لسياق الآية ٣٩ من سورة الحج ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ أُخۡرِجُواْ... ﴾(٦) وفيه دلالة على الإذن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) (البقرة / ١٩٠).

(٣) تفسير مجمع البيان، ج ١-٢، ص ٥٠٩-٥١٠، والتفسير الكبير، ج ٥، ص ١٢٧-١٢٨.

(٤) التفسير الكبير، ج٥، ص ١٢٨.

(٥) تفسير مجمع البيان، ج ١-٢، ص ٥١٠.

(٦) الحج: ٣٩.

الابتدائي بالجهاد ضد المشركين[١].

قيمة الجهاد والدفاع كونه في سبيل الله: ﴿ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾ قيد يُبيِّن أنّ هدف المجاهد المؤمن من الجهاد والدفاع هو إقامة الدين وإعلاء كلمة التوحيد. ومثل هذه الحرب هي عبادة ويجب أن تُخاض بنيّة كسب الرضى الإلهي والتقرّب من الله تعالى، وليس الاستيلاء على أموال الناس وأعراضهم[٢].

الطبيعة الدفاعية للحرب في الإسلام: يستفاد من هذه الآية أنّ الحرب في الإسلام لها بُعدٌ دفاعي، فيقرّ الإسلام مبدأ الدفاع عن الحقّ المشروع للبشر عن طريق الحرب والجهاد؛ وهذا الحقّ تعترف به الفطرة الإنسانية لكل الناس[٣]. وهو الحقّ بالعيش بحرية وكرامة.

النهي عن البدء بالقتال: الآية تأمر بالقتال ضد الذين يقاتلون، وهذا بيان عن النهي عن البدء بالقتال قبل بدئهم به[٤]. كما أنّ عبارة ﴿ وَلا تَعْتَدُوا ﴾ تعني لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال[٥].

النهي عن قتال غير المحاربين: هذه الآية تأمر المسلمين بقتال المحاربين فقط، والنهي في ﴿وَلا تَعْتَدُوا ﴾ بمعنى لا يحقّ لكم الانتقال من قتال المحاربين، إلى قتال غير المحاربين الذين لم تؤمروا بقتالهم[٦].

ويحتمل أنّ المراد من النهي في ﴿ وَلا تَعْتَدُوا ﴾ عدم التعدّي بقتل النساء والأطفال والشيخ[٧].

---

(١) تفسير الميزان، ج٢، ص ٦٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٦١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تفسير راهنما، ج١، ص ٤٧٤.
(٥) تفسير مجمع البيان، ج ١-٢، ص ٥١٠.
(٦) المصدر السابق.
(٧) التفسير الكبير، ج٥، ص ١٢٨.

وجوب الالتزام بكلّ مقررات وقوانين الجهاد والدفاع: النهي عن الاعتداء شامل، ويضمّ كلّ ما يصدق عليه أنّه اعتداء، كالقتال قبل الدعوة إلى الدين الحقّ، والابتداء بالقتال، وقتل النساء والصبيان، وعدم الانتهاء إلى العدو، وغير ذلك مما بيّنته السنة النبوية[1]. وعليه فالنهي في عبارة ﴿ وَلا تَعْتَدُوا ﴾ فيه دلالة على وجوب الالتزام بكلّ قوانين ومقرّرات الجهاد والدفاع حتى عن حقوق العدو في الحرب[2].

خلاصة الدرس:

إنّ البحث الفقهي في آيات الأحكام هو العلم الذي ولدَ فيه التفسير الموضوعيّ، فهو النموذج الأقدم للتفسير الموضوعيّ المتطوّر والمعاصر، وبرع في هذا المجال علماء الفريقين كالشيخ القرطبي والأستراباديّ، ولعلّه الرافد الأهمّ في ولادة الاتجاه الفقهي في التفسير الترتيبيّ.

الأسئلة:

س١: ما المقصود بآيات الأحكام؟ وماذا تعرف عنها؟ وطبيعة البحث فيها.

س٢: هناك علاقة بين التفسير الموضوعيّ والبحث الفقهي في آيات الأحكام، فما هي تلك العلاقة؟

س٣: عدّد ثلاثة من العلماء المؤلّفين في فقه آيات الأحكام، مع أسماء كتبهم.

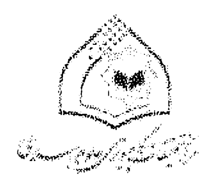
س٤: ما المراد من قوله تعالى: ﴿أُذِنَ﴾ في آية الجهاد؟

س٥: ما دلالات قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟

---

(١) تفسير الميزان، ج ٢، ص ٦١.

(٢) تفسير راهنما، ج ١، ص ٤٧٤.



المواضيع والمعلومات المراد تفسيرها ودراستها موضوعياً في القرآن الكريم

يعرّف التفسير الموضوعيّ بأنّه: (العمل على معرفة الرؤية القرآنيّة عن الموضوع باستعمال المنهج الكامل)

أصول التفسير: وهي الواقعيات المحكي عنها بحمل خبرية مؤثّرة في صحّة التفسير. وهناك أصول عامّة مثل: (القرآن وحي إلهي) و(فهم القرآن ممكن) وهي ١٦ أصل، وأصول خاصّة مثل: (وجود آيات تشكّل موضوعاً) و(وجود النظريات القرآنيّة)

قواعد التفسير: ما يجب أن يفعّل خلال عملية التفسير: وهي القوانين الكلية التي تجعل واسطة في الاستنباط. وهي قواعد عامّة مثل: لزوم رعاية أصول المحاورة العقلائية وخاصّة مثل مراعاة الاستقصاء التام ولزوم رعاية خصوصيات منهج التفسير القرآنيّ

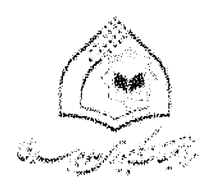
أقسام التفسير: أي: تحديد الموضوع المختار للتفسير وحدود أو سعة دائرة البحث، فقد تكون القسمة على أساس: ١ـ وجود الموضوع منشؤه. ٢ـ عدد الموضوعات. ٣ـ شمولية التفسير للمواضيع القرآنيّة وجامعيتها. وعليه فالأقسام هي: (أحادي أو ارتباطي)، و(جامع أو غير جامع)، و(داخلي أو خارجي)، و(تفسير في كلمة أو سورة أو كلّ القرآن)

أشكال التفسير الموضوعيّ: أي بيان حال العلاقة بين وحدات الموضوع المفسّر وكيفيتها، وهي: ١ـ اتحادي (أي لا توجد علاقة ولا تفاعل بين أجزاء الموضوع). ٢ـ ارتباطي (يكشف فقط نوع العلاقة بينها، طردية أو عكسية. ٣ـ المقارن: يبيّن نقاط الاشتراك والافتراق بينها. ٤ـ البيني (ذو التخصّصين) علاقة اندماجية تمثّل رأي التخصّص الجدي المشترك والنهائي بين القرآن والعلم

أساليب التفسير الموضوعيّ: أي طريقة نظم مواضيع التفسير الموضوعيّ وترتيبها وتسلسلها، وهي: ١ـ إمّا أن تنظّم وترتّب على أساس محورية الله تعالى فتتسلسل بحسب أولويتها بالنسبة إليه تعالى. ٢ـ بحسب التسلسل الطبيعي للآيات والموضوعات. ٣ـ بحسب الواقع الخارجي واحتياج البشرية لها وستكون أولوية نظمها طبقاً لحاجة الإنسان

خطوات المفسّر الموضوعيّ: ١ـ معرفة معنى التفسير الموضوعيّ. ٢ـ تحديد الموضوع. ٣ـ اختيار عنوان قرآني. ٤ـ جمع الآيات. ٥ـ تصنيف الآيات المكّية والمدنية والناسخة والمنسوخة. ٦ـ فهم الآيات بالرجوع إلى التفسير الترتيبيّ. ٧ـ تقسيم الموضوع إلى عناصر مترابطة. ٨ـ التنظير القرآنيّ

العيوب التي قد يقع فيها المفسّر الموضوعيّ: ١ـ أخطاء متعلّقة باختيار الموضوع، مثل: اختيار موضوع عام، أو اخضاع القرآن لقناعات مسبقة. ٢ـ أخطاء متعلّقة بمرحلة جمع الآيات، مثل الاكتفاء بالمعجم أو بنفس اللفظ. ٣ـ أخطاء متعلّقة بمرحلة التفسير الترتيبيّ كعدم امتلاك شروط المفسّر، أو علوم القرآن. ٤ـ أخطاء متعلّقة بمرحلة التنظير، مثل عدم الإلزام التام بمفاد الآيات أو عدم الدقّة.



دليل المصادر

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- اصطلاحات الأصول ومعظم أبحاثها، علي المشكيني، دار الهادي، ط٥، ١٤١٣م.
- أصول وقواعد التفسير الموضوعي، مازن التميمي،، ط١، كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ٢٠١٠م.
- إعجاز القران ومنهج البحث عن التميز، محمد شادى، ، مكتبة جزيرة الورد المنصورة، ط١، ٢٠٠٥م.
- الأمالي، الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط١، ٢٠١٠م.
- الإمام محمّد الغزالي جهوده في التفسير وعلوم القرآن، رمضان غريب الخميس،، دار الحرم، ٢٠١٣م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ مكارم الشيرازي، قم المقدسة، (د. ت).
- آيات الأحكام في تفسير كلام الملك محمّد بن علي الأسترآبادي (ت ١٠٢٨هـ).
- بحار الأنوار، العلامة محمّد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.
- البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي.
- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي، (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) تحقيق وتصحيح، أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الاعلام الاسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ
- التحقيق في كلمات القرآن، الشيخ حسن مصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد

الاسلامي - مركز نشر اثار العلامة المصطفوي.

- تفاسير موضوعي قرآن، سيد هدايت جليلي، روش شناسي.
- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني تصحيح و تعليق حسين الاعلمي الناشر مكتبة الصدر - الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ
- تفسير القرآن الكريم، ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى السيد محمد، مؤسسة قرطبة، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠٠٠م.
- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمّد أحمد القاسم.
- التمهيد في علوم القرآن، محمّد هادي معرفة، مطبعة ستاره، قم المقدسة، ط١، ٢٠٠٧م.
- دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للعلامة المامقاني (ت١٣٥١ هـ) تلخيص وتحقيق الاستاد علي اكبر الغفاري جامعة الامام الصادق.
- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، محمّد علي الرضائي الأصفهاني، تعريب: قاسم البيضاني، مكتب التخطيط وتدوين المناهج الدراسية - المركز العالمي للدراسات الاسلامية، الطبعة: الاولى، (د.ت).
- رجال النجاشي، أبو العباس النجاشي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت لبنان الطبعة: الاولى ٢٠١٠.
- علوم القرآن محمّد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، ط٦، ١٤٢٥هـ
- الكافي، الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩ هـ).
- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط٤، ١٤٢٦هـ
- مباني تفسير القرآن، السيد رضا مؤدّب، جامعة قم، مطبعة الشريعة، ط ١، قم ١٣٨٦هـ

- المدخل إلى تفسير القرآن الكريم، السيّد محمّد باقر أبطحي.
- المدرسة القرآنية، الشهيد محمّد باقر الصدر، دار الصدر، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٩هـ
- مشروعية التفسير الموضوعي، نعيم الساعدي، رسالة دكتوراه جامعة المصطفى العالمية.
- معارف القرآن، آية الله الشيخ محمد تقي المصباح اليزدي، تعريب: الشيخ عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية. بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.
- معجم المعاني الجامع، محمّد سليمان.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا الرازي، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
- مقدّمة في أصول التفسير، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عدنان زرزور، مطبعة الرسالة، ١٣٩٢ – ١٩٧٢م.
- مقدمة في التفسير التربوي الاصول التفسيرية، تأليف: الدكتور هاشم عبد النبي أبو خمسين، تحقيق: احمد عبد الحسين رهيف.
- منطق تفسير القرآن، محمّد على الرضائي الأصفهاني، أصول وقواعد التفسير.
- منهج السيّد محمّد باقر الصدر في فهم القرآن، أحمد الأزرقي، مركز الهدف للدراسات، بغداد، ٢٠١٥م.
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيّد عبد الأعلى السبزواري، مطبعة نكين، ١٤٢١هـ-٢٠١٠م.
- الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمّد حسين الطباطبائي، الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط١ ، ١٩٩٧م.

- نفحات القرآن، الشيخ مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٦هـ
- نقد وتفسير موضوعي، شهربانو خويشوند، روش شناسي مقايسه، رسالة ماجستير/ جامعة الإمام الخميني.
- نهج البلاغة، الامام علي بن ابي طالب - ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ط٤، ٢٠٠٤م.
- الوجوه والنظائر ودورها في تفسير القرآن، هاشم أبو خمسين، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى العالمية.
- الوجوه والنظائر، الحسين بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨هـ)؛ تحقيق: عربي عبد الحميد علي؛ الناشر: دار الكتب العلمي، (د.ت).
- الوجوه والنظائر. هارون بن موسى (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والإعلام - دائرة الآثار والتراث، ١٤٠٩، ١٩٨٨م.
- الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي، محمود ماضي، دار الدعوة، الاسكندرية، ط١، ١٩٩٦م.

الدوريات:

- الشيخ علي سراقي، مجلّة (معرفت) العدد ١٠٧، مؤسّسة الإمام الخميني/ قم ٢٠١٥.
- خصائص المنهج التربوي في القرآن، نذير الحسني، مجلّة (قرآن وعلم)، مقالة، العدد ٣.

المحتويات

الدرس الخامس: مشروعية التفسير الموضوعيّ

الدرس السادس: أصول التفسير الموضوعيّ

الدرس السابع: قواعد التفسير الموضوعيّ

الدرس الثامن: أقسام التفسير الموضوعيّ وأشكاله

الدرس التاسع: أساليب التفسير الموضوعيّ

الدرس العاشر: آفات التفسير الموضوعيّ